محنة المسلمين
في آسيا الوسطى والقوقاز
الواقع والتاريخ

الدكتور سعيد أحمد سلطان

الدار الثقافية للنشر

عنوان الكتاب : محنة المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز

Mehnat Al Moslmeen

تأليـــــف : دكتور سعيد أحمد محمد سلطان

Dr Saied A. soltan

17 X 24سم . 312ص

17 x 24 cm. 312 p.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2004/ 18129

ISBN: 977 - 339 - 153 - 1

اسم الناشر : الدار الثقافية للنشر

الطبعـــة الأولـــى

1426هـ / 2005م

كافة حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر

الدار الثقافية للنشر - القاهرة

ص. ب. 134 بانوراما أكتوبر 11811 - تليفاكس 4035694 ـ 4172769

Email: nassar@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

[آية: ٤٣، سورة الأعراف]

* * *

إهداء

إلى روح أمى الطاهرة التى تلازمنى دائمـا فى كل أفـراحى وأتراحى وإلى زوجتى وإلى ابنتىَّ الغاليتين مى ، علا .

إليهن جميعاً أهدى هذا العمل المتواضع .

د/سعيد سلطان

لا شيء ثابت إلا التغيير

إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده: لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا المكان لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

العماد الأصفهانى

مقدمة

فى ظل هذا الزخم الهائل، والتيارات الهادرة من الأفكار، والنظريات، والاطروحات التى تغزوا العالم الإسلامى والقادمة إليه من مشارق الأرض، ومغاربها على السواء، والتى تريد هدم الثوابت التاريخية، والدينية للعالم الإسلامى ومن المعلوم أن هذه الأفكار والاطروحات الجديدة تمس وتر العقيدة الحساس بالنسبة للمسلمين جميعاً، فهى فى ظاهرها إصلاح وتطوير وفى باطنها قمة العلمانية المادية، البعيدة عن كل قيم روحية أو دينية، وهى فى مجملها تشكل تناقضا مع ما يحمله المسلم بين جنباته من أسس دينية، وقيم فكرية تطابق وحى السماء.

وفى خضم هذه الأفكار الجديدة، والوافدة تارة، والمفروضة تارة أخرى، والمتناقضة دائماً مع جذور الفكر الإسلامى.. يقف الإنسان المسلم حائراً متسائلاً ماذا عساه أن يفعل؟

أيصمت ويدع نفسه لهذه التيارات الهادرة التى تحاول اقتلاع الأصول الإسلامية من ثوابتها؟ أم يقف ويصمد أمام تلك المحاولات متمسكاً بجذوره الإسلامية، وثوابته الفكرية التى لا تصطدم بمتغيرات العصر.

ولكن ترى كيف يكون ذلك وجذوره الإسلامية، وفكره العقائدى متهماً دائماً من خصومه بالرجعية التى لا تتناسب وروح العصر.

ولذا وفى ظل هذا الزخم من الأفكار، والاطروحات الفاسدة التى يحاول الغرب فرضها أو ترويجها فى سوق الشرق المسلم أصبح لزاماً على كل مسلم يملك قلماً أو فكراً يستطيع من خلاله أن ينقب فى ذاكرة التاريخ، الذى سجل مجد الإسلام وحضارته التى أثرت فى الحضارة الإنسانية جمعاء، أن يذكر شباب العالم بمختلف دياناته وانتماءاته العقائدية أن الحضارة الإسلامية هى التى ايقظت العرب من سباته العميق واخرجته من ظلمات الجهل والتخلف وتلك الحضارة هى التى حملت إليه وللعالم مشاعل العلم والمعرفة.

ففى مسيرة الحضارات الإنسانية تبدو هناك عدة عوامل مؤثرة وفاعلة فى نجاح هذه الحضارة أو تلك ومن تلك العوامل: البيئة - اللغة - الثقافة.

وقد استطاع المجتمع الإسلامى فى صدر الإسلام أن يشكل مجتمعا إسلاميا يمتد من وسط اوربا حتى حدود الصين بل وفى مناطق أخرى من العالم وبتفاعل

تلك العوامل اصبحت دولة الإسلام هى المهيمنة على المفاتيح الجغرافية للعالم المتصل بها واستطاعت الحضارة الإسلامية أن تؤثر فى مختلف المجتمعات التى دخلتها تأثيراً إيجابياً ادى إلى تقدم وازدهار تلك الأمم والمناطق.

ومن تلك المناطق التى أثرت وتأثرت بالحضارة الإسلامية وأصبحت إحدى منارات الاشعاع الثقافى فى العالم أجمع هى منطقة وسط أسيا الإسلامية والتى كانت تعرف فى الماضى ببلاد تركستان الكبرى والتى أسماها الجغرافيون العرب بلاد ما وراء النهر لوقوعها جغرافياً خلف نهر جيحون وهى منطقة شاسعة تمتد من تركيا غربا حتى حدود الصين شرقا وقد باتت مقسمة إلى تركستان الشرقية وتركستان الغربية وتلك المنطقة الأخيرة هى محل دراستنا والتى تتكون الآن من عدة دول وهى: طاجكستان - قيرغيزستان - تركمنستان - كازاخستان - أوزبكستان، وبالإضافة إلى أذربيجان فى القوقاز وكذا العديد من الدول والمناطق الإسلامية التى تمثل اقليات داخل المجتمع الروسى.

أما منطقة تركستان الشرقية فهى تخضع الآن للاحتلال الصينى البغيض والذى يمارس مع سكانها المسلمين كل أنواع التعذيب والقتل والتنكيل بل وقام بضم تلك المنطقة لحدوده الجغرافية وسماها بأسم "سينكيانغ» أى الولاية الجديدة وذلك تحت مسمع ومرأى من مثقفى وحكام العالم الإسلامى.

وبذلك أصبحت منطقة وسط آسيا الإسلامية كباقى مناطق العالم الإسلامى فى الأندلس وقرطبة وغيرها قد أصيبت بسوء تفكير وتدمير حكامها الذين أضاعوها وأضاعوا الإسلام فيها فكانت النتيجة الحتمية سقوطها جميعا تحت الاحتلال الأجنبى الذى جاء بافكاره وجنوده فأصبحت تركستان الغربية محور موضوعنا من نصيب المحتل الروسى القيصرى ثم الشيوعى الملحد بأفكاره وأيديولوجيته الشيوعية التى حاول من خلالها الهيمنة الفكرية قبل الهيمنة الجسدية على مسلمى تلك المناطق.

ومن هذا المنطلق تأتى أهمية هذه الدراسة من منطلق فكرة التأثير الأيديولوجى فى المجتمع الإسلامى بشكل عام، وما تمخض عنه من تيارات ومذاهب وضعية، وعقائدية، خلال مرحلة المسيرة التاريخية لهذه المجتمعات، وما تمخض عنها من مشكلات وأزمات عوقت هذه المسيرة أحيانا، وأدخلتها فى صراعات فيما بينها تارة أخرى.

وإذا ما تأملنا فى تاريخنا المعاصر النموذج لهذه المشكلة نجدها تبدو بوضوح

كامل فى مجتمعات وسط أسيا الإسلامية، والتى ارتبطت تاريخيا بالحضارة الإسلامية، وفى نفس الوقت تعرضت لأزمات متلاحقة بسبب مراحل ضعفها التى تخللته أيديولوجية بعينها، وهى الأيديولوجية الماركسية، التى اخترقت بنية هذه المجتمعات، والتى كان لها بشواهد تاريخية موقف حاسم، وواضح فى دعم الحضارة الإسلامية بمفكريها العظام الذين قدموا للإنسانية فكرا مستنيرا.

وفى قلعة هذا الفكر، وهى تركستان استطاع أن ينفذ إليها فكرا أيديولوجيا يستغل ظروف الضعف بشعارات تبريرية، فيها بريق أمل الخلاص من ظلم النظام القيصرى القابع على هذه المجتمعات.

ومن ثم فإنه تم طرح هذه الإشكالية موضوعا للدراسة، والتمحيص من خلال المعطيات التاريخية التى مرت بها هذه المنطقة منذ بداية دخول الإسلام إلى تلك المناطق، وانتشاره، وسيطرته على كل الأقاليم بالمنطقة بما فيها بلاد السلاف (الروس والبلغار وغيرها).

وقد مرت علاقة المسلمين بالروس بأطوار عدة بدأت بخضوع الروس (السلاف) للسيادة الإسلامية خلال القرنين الرابع عشر، والخامس عشر، حيث كانت الغلبة للمسلمين، وكان النبلاء الروس مجرد ولاة يحكمون باسم وتحت سيطرة المسلمين حيث كانت موسكو تخضع للحكم الإسلامى، وكانت تعرف باسم مشيخة «الموسكوف» وكانت تحت إمرة حاكم القبيلة الذهبية الإسلامية (التون أوردا)[1]. وفى هذا السياق، تستلزم الدراسة الرجوع إلى صفحات التاريخ الإسلامى، فى تلك المنطقة، وبحسب أن التاريخ هو ذاكرة الزمان التى تحتفظ دائما بأسرار تطور الأمم وكذا انهيارها، فإن الدراسة هنا تستند إلى المعطيات التاريخية فى تحليلها وتفسيرها لبيان تأثير الأيديولوجية الروسية على المجتمعات الإسلامية بوسط آسيا. وبداية أقصد بالأيديولوجيا هنا علم الأفكار ذلك العلم الذى يدرس الأفكار من حيث نشأتها وأشكالها وقوانينها.

وبداية أود أن أوضح أن الأيديولوجيا التى اقصدها لا تعنى العقائد الدينية، ولكن هى أفكار ترتبط بمصالح متصارعة على مكانة السلطة فى العمل السياسى، وفى كل الأحوال فأصحاب المصالح يتنافسون على الإقناع والتبرير، وهم فى كل الأحوال مغالطون وكاذبون.

---

(١) دار الدعوة - تركستان بين الدب الروسى والتنين الصينى - الإسكندرية - دار الدعوة للطبع والنشر سنة ٩٣ ص ٤١

المهم أن الأيديولوجيا تعنى نتاجا عقليا وظيفته حجب الأفكار الحقيقية عن مجتمع ما، وهو توجه بشكل مقصود.

ومن هنا تأتى بؤرة المشكلة ويثور التساؤل المهم: كيف تسربت الأيديولوجيا الماركسية إلى عقول المسلمين فى هذه المنطقة على وجه التحديد، وسيطرت على عقول بعض مفكريهم بل والنخب الحاكمة منهم، وبالتالى خضعت للهيمنة الإقتصادية والسياسية، ولكن بالنسبة للهيمنة الثقافية فقد وجدت صراعا شديدا بين المذاهب الدينية الإسلامية، ومبادئ الأيديولوجيا الماركسية، ولكى نفهم حوارية هذا الصراع فلابد أن نسترجعه من خلال التطور التاريخى للأيديولوجيا الماركسية فى منطقة آسيا الوسطى على وجه التحديد، وحسب ظروف الزمان، والمكان.

ومن ثم كان لابد من طرح كل هذه الإشكاليات، والاطروحات قيد البحث للخروج بنتيجة واحدة، وفاصلة فى الصراع الأيديولوجى بين الإسلام، والشيوعية.

وينتهى بنا القول رغم كثرة التعريفات، وتطورها إلى أن الأيديولوجيا، تعنى نتاجاً عقلياً وظيفته حجب الأفكار الحقيقية عن مجتمع ما، وهى توجه بشكل مقصود عن عقول أولئك الذين يستهدفون تثبيت نظام اجتماعى بعينه(١).

ومهما كانت المفاهيم أو التعاريف التى ينظمها هذا الموضوع ، فإن المراد هنا هو إثبات أن بعض هذه المفاهيم استطاعت غزو بعض العقول بمعرفة الهيمنة الثقافية للآخرين على بعض الفئات المجتمعية من المجتمعات الإسلامية تحت ظروف الغزو والقهر وسيطرة قوى الحكم، وقد تركت آثارها وتأثيرها فى أيديولوجيات متفرقة ومتصارعة وقد كشفت أحداث التاريخ عن زيف ادعاء الأيديولوجية الشيوعية، وخواء بناءها الفكرى، وعجزها فى تحقيق آى شكل من أشكال الأيديولوجيات بمفهومها الصحيح(٢).

ولما كانت الدراسة تهتم بالشخصية الإسلامية سواء كانت إسلامية أو روسية لبيان مدى تأثير وتأثر كل منهما بالآخر، وحيث إن الدراسات المتخصصة قد أثبتت أن الإنسان ابن بيئته، وللبقاع تأثير على الطباع، فكان لابد أولا من بيان المنطقة الجغرافية للدراسة، لتعقبها دراسة تاريخية عن سلوك البشر من أبناء هذه المنطقة، ثم تمضى الدراسة فى ذكر الملامح الجغرافية لمنطقة وسط آسيا، فقد

---

(١)،(٢) السيد حنفى عوض- فى قضايا الفكر ومشكلات المسلمين- الإسكندرية - مودرن جرافيك - سنة ١٩٩٠- ص ٩٠

ذكرت المصادر التاريخية أن الجغرافيين العرب قد حددوا منطقة وسط آسيا (تركستان) بأنها ذلك الإقليم الواقع بين نهرى «جيحون» «أمودريا» وسيحون «سيردريا» وهذا الإقليم يمتد من بحر الخزر (قزوين)، ونهر أورال غرباً إلى حدود التبت، وإلى منغوليا، والصين الأصلية شرقاً، وإلى حدود سيبيريا شمالاً، وأفغانستان جنوباً.

وهذه المنطقة عرفت عند العرب كذلك باسم «بلاد ما وراء النهر» أى البلاد الواقعة خلف نهر سيحون، وجيجون، وهى تقع شرق بلاد فارس «إيران»، وقد عرفت كذلك باسم توران أو تركستان[1].

وحسب المصادر الجغرافية فإن مساحة تركستان إجمالاً هى ٥,٥٤٠,٠٦٦ كيلو متر مقسمة إلى تركستان الغربية، والتى نحن بصدد دراستها تحت مسمى بلدان آسيا الوسطى، وهى تمثل جمهوريات وسط آسيا الإسلامية، ومساحتها ٣,٨٣٦,٥٠٣كيلو متر، وتركستان الشرقية وهى جزء غال من ديار الإسلام احتلتها الصين الشيوعية ومازالت تحت سيطرتها، وقد أطلقت عليها الصين إقليم «سينكيانغ» أى الولاية الجديدة ومساحتها ١,٥٠٣,٥٦٣ كيلو متر، ومازالت تركستان الشرقية المحتلة تحتفظ بإسلامها، ومسلميها رغم أساليب القهر، والإبادة التى تمارسها السلطات الشيوعية الصينية فى هذا الإقليم[2].

وحيث أن الدراسة تهتم ببلدان وسط آسيا، فإن الدراسة هنا تقتصر على تركستان الغربية فقط، تلك البلاد الغنية بمياهها الوفيرة، وأراضيها الخصبة، وثرواتها النفطية، والمعدنية الكثيرة.

وتشير المصادر التاريخية، إلى أن تركستان كان يقطنها قبائل من الترك، ولذا كانت كلمة تركستان تعنى بلاد الترك، وهى مكونة من مقطعين (ترك - ستان) ويعنى المقطع الأول اسم القبائل التى تقطن المكان، والمقطع الثانى يعنى أرض الخير، والنماء، ويشير المعنى إجمالا إلى أنها أرض الترك.

وستطرد الدراسة، فتذكر آراء مؤرخى القرون الوسطى، أن أصول شعوب التركستان تنتسب إلى (ترك بن يافث بن نوح عليه السلام)، وأن ترك قد تولى الحكم بعد أبيه يافث، وسميت الأرض التى كان يسكنها باسمه، وأصبحت تعرف

---

(١) نصر الله مبشر الطرازى - تركستان ماضيها وحاضرها - القاهرة ب ن صفحة ٦

(٢) عبد الله طاش - تركستان وأهلها المنسيون - القاهرة - دار الفتح للإعلام العربى - سنة ١٩٩٩ صفحة ١٠

ببلاد التركستان، ولما كثر أبناؤه، وأحفاده، وصاروا شعوبا، وقبائل، نسبت كل مجموعة أو قبيلة لسلطانها، وأصبح منهم شعوب: الأوزبك - الأويغور - المغول - القيبجاق، وغيرهم.

ومن ثم، ففى أرض تركستان نبتت أصول الأتراك، وأخرجت من بين أحشائها قبائل قوية استطاعت تكوين دول بهذه المنطقة، سيطرت على منطقة وسط آسيا، بما فيها بلاد الروس (السلاف، والصقالبة) مثل قبائل الكوك ترك، والتى أسست دولة سنة ٥٥٢م، وغيرها من القبائل الأخرى القوية، ولما كانت اللغة من المقومات المقدسة لكل شعب كالوطن، والعلم، والتراث، فكان لابد من ذكر اللغة المستخدمة لشعوب تركستان، وهى اللغة التركية، التى تفرعت إلى عدة لهجات(١).

ويعن للباحث فى هذا الصدد، الإشارة إلى رحلة أحمد بن فضلان، تلك الرحلة التى تعد بداية أول دخول للإسلام لتلك المناطق الشمالية سنة ٣٠٩هـ، والتى تعكس صور البدائية فى السلوك الاجتماعى للروس.

تتلخص رحلة أحمد بن فضلان فى أن ملك السلاف (الروس) ألمش بن فلاديمير قد أرسل كتابا إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله يطلب فيه أن يرسل إليه من يفقه فى الدين الإسلامى وأن يبنى له مسجداً للعبادة، وأن يبنى له حصنا يحميه من ملوك الخرز (وهم اليهود المقيمون على بحر الخرز - قزوين حاليا) وذلك من مال المسلمين حبه لله وقد استجاب أمير المؤمنين لطلب ملك السلاف، وارسل له احمد بن فضلان فى رحلته المشهورة والتى سجلها التاريخ باسم «رحلة ابن فضلان»:

تلك الرحلة التى سرد فيها ابن فضلان مشاهداته وانطباعاته عن كل غريب وعجيب فى هذه الرحلة حتى وصوله الى بلاد السلاف وتنفيذ طلبات ملك السلاف بناء على أوامر أمير المؤمنين والتى جاء فيها وصف السلاف (الروس) بأنهم شعوب شقر ضخام البنيان، غير مهذبين فى مظهرهم من حيث النظافة فى الجسم أو الثياب، ولا يعرفون دينا بعينه، عاداتهم الحياتية قذرة فهم لا يغتسلون من غائط أو جنابة ويتناكحون جهاراً نهاراً دون حياء، وانهم غلاظ الطباع حيث توجد وحشية فى معاملتهم مع الآخرين،وهم سكارى ودائمو شرب الخمر والعربدة، لا تحكمهم قيم أو حضارة يعيشون حياة بدائية فى السلوك والفكر وكافة أمور حياتهم(١).

---

(١) و. بار تولد - تاريخ الترك فى آسيا الوسطى - ترجمة أحمد السعيد سليمان - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٩٦ ص ١٥٢

وفى هذا السياق، توضح الدراسة، أنه فى الوقت الذى كان الروس يعيشون هذه الحياة البدائية الغوغائية التى تفتقد لكل سبل التحضر، والتمدين.

كان المسلمون على الجانب الآخر فى تركستان يعيشون حياة متحضرة ذات أبعاد ثقافية ودينية، ومعمارية متقدمة.

ومن ثم، كان لابد من التطرق لبداية دخول الإسلام فى بلاد تركستان، والذى يبدأ تاريخه الفعلى فى عام ٨٦هـ وهو بداية الفتوحات الإسلامية النشطة فى آسيا والتى استمرت حتى عام ٩٧هـ (٧٠٥/٧١٥م)، إلا أن هذه الفتوحات قد مهدت لها محاولات عديدة، بدأت بعد انقراض، وانهيار دولة الكوك ترك سنة ٦٤٥م، وقيام عدة دويلات تركية على أنقاضها، وتنارعت فيما بينها وأضعفت الخلافات قواها وأنهت وحدتها القومية، وبدأ المسلمون الفاتحون يستعدون لغزو تركستان، فدخلها بعض الداعين إلى الإسلام، وكان ذلك فى عهد الخليفة عثمان بن عفان، رضى الله عنه (٦٤٤ - ٦٥٦م)، إذ زحف عام ٦٥١م - الأحنف بن قيس، وعبيد الله بن عامر رضى الله عنهم [١] إلى خرسان، وما وراء النهر، وعقدا صلحا مع أهلها[٢].

ولكن ما أصابوه من نجاح لم يكن له الأثر الأكبر فى إدخال الترك فى الإسلام، وفى عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان، وبالتحديد عام ٦٦٦م، أرسل زياد أبن أبى سفيان القائد ربيع بن الحارثة من بغداد إلى خراسان، وتم لهذا القائد الانتصار على أعدائه فى إيران الشرقية إلى أن وصل إلى مدينة بلخ، والتى تعد الباب الجنوبى لبلاد ما وراء النهر، وفتح العرب هذه البلاد المعروفة بثراء ثرواتها حتى شواطئ نهر جيحون.

وتمضى الدراسة، لتوضح أنه وبعد موت زياد، بعث معاوية عبيد الله بن زياد على رأس حملة جديدة إلى بلاد ما وراء النهر، واستطاع عبيد الله دخول بيكند عاصمة تركستان، ومركزها التجارى، ودخول بخارى بعد ذلك، إلا أن ملكة بخارى الخاتون «أم طغشادة» كانت تطلب الصلح ثم تسارع بنقض العهد مرة تلو الأخرى، ومن ثم لم تستتب أركان الإسلام فى تلك البلاد، إلى أن جاء دور القائد العربى الكبير (قتيبة بن مسلم الباهلى)[٣]، الذى أمره الحجاج، بفتح بلاد ما وراء النهر فكان له ذلك عام (٨٦هـ - ٧٠٤م)، وأستمرت الفتوحات الإسلامية

---

(١)، (٢) نصر الله الطرازى - تعليم الأوزبكية - القاهرة - ب ن سنة ٢٠٠٠ ص ٥

(٣) د/ أحمد شوف - ضمن الاسلام - لندن - الزهراء للإعلام العربى سنة ٩٢ ص ٢٨٠

حتى عام (٩٧هـ - ٧١٥م)، فى بلاد ما وراء النهر حتى تم تثبيت أركان الدولة الإسلامية فى هذه البقاع، وتم بناء أول مسجد فى بخارى عام ٩٤هـ.

ومن المعلوم أن أهل تركستان هم أصحاب فطرة نقية إذ أن معظم القبائل التركية قد دخلت الإسلام طواعية بل، وكانت تدخله أفواجا بمجرد فهمهم لتعاليمه السمحة، رغم وجود عدة ديانات قديمة فى تلك المناطق كالديانة الشامانية، والمانوية - والمزدكية - المسيحية - والنسطورية - البوذية - الذرادشتية، وغيرها.

إلا أن جميع هذه الديانات لم تصمد أمام الديانة الإسلامية السمحة، التى انتشرت فى وسط آسيا على أيدى أبناء هذه المناطق أنفسهم.

وتشير الدراسة - إلى أن هذه المنطقة الإسلامية قد أفرزت علماء أفذاذاً، حملوا لواء العلم، وساهموا فى بناء الحضارة الإسلامية، والإنسانية، وما زالت أسماؤهم حتى اليوم تدل على عظمة أصحابها، وتخلد ذكراهم، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: الإمام الغزالى (ت ٥٠٥هـ)، والإمام البخارى (ت ٢٥٦هـ)، والترمذى (ت ٢٧٩هـ)، النسائى (ت ٣٠٣هـ) - والسمرقندى (ت ٩٢٨هـ) - ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) - الفارابى (ت ٣٩٣هـ)، والخوارزمى (ت ٣٥٥هـ)، والفرغانى (ت ٢٣٢هـ) والبيرونى (ت ٤٤٠هـ) الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ)، وغيرهم من العلماء الكثيرين فى مجالات الشريعة - الطب - الهندسة - الرياضة - الفلك.. إلخ[١].

وأصبحت بلدان وسط آسيا الإسلامية تمثل مراكز إشعاع ثقافى، وحضارى، ومن أمثلة تلك المدن: بخارى - طشقند - مرو - وسمرقند، وغيرها.

لقد أصبحت هذه المدن بعلمائها منارة فى بناء الحضارة الإسلامية، لما اشتملت عليه من عقيدة التوحيد لله وحده، وحسن المعاملة، والسلوك المتسامح بين البشر، لقد أثرت هذه الحضارة فى المجتمعات الإنسانية بما حملته من عقيدة التوحيد، والسلوك القويم المتسامح بين البشر، وفى نفس الوقت تفاعلت الحضارة الإسلامية مع الحضارات السابقة عليها وأخذت منها ما يتلاءم مع العقيدة الإسلامية، والواقع أن الحضارة الإسلامية قد أمدت البشرية بزخم هائل من المعارف، فى شتى نواحى الحياة على يد علماء مسلمين فى مختلف العلوم، والفنون، والآداب حتى نهضت الحياة الفكرية والاجتماعية بفضل جهودهم، ومن

---

(١) المرجع السابق ص ٧

أمثال هؤلاء العلماء: الغزالى، وابن خلدون، وابن الهيثم، والخوارزمى، والفارابى، والفرغانى، وغيرهم، الذين كان لهم الفضل فى وضع أسس المنهج العلمى فى التحليل والتفسير.

كانت هذه المناطق خاضعة لحكم دول إسلامية غير متآلفة أو مترابطة بالمشرق حتى اجتاحها جنكيز خان فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى، ثم تبعه حفيده هولاكو، والذى واصل زحفه إلى بغداد، ودمرها، وأحرق مكتبتها، وقتل الخليفة، وقد أوقف الزحف المغولى الجيش المصرى بقيادة سلاطين المماليك (عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) حين هزم هولاكو فى معركة عين جالوت بفلسطين على يد سيف الدين قطز.

وقد شهدت منطقة آسيا الوسطى، وما وراء النهر، والتركستان العديد من الدول والمماليك التركية القوية، والتى دخلت فى الإسلام وعملت على نشره مثل الدولة الخوارزمية، والتى قامت على حدود الفولجا وبحر الخزر، ومملكة القرخانيين فيما وراء النهر، والتى قضت على السمانيين فى نهاية القرن العاشر، وكذلك الدولة الغزناوية، والتى اتجهت لفتح بلاد الهند، وكذا الدولة السلجوقية والتى تعتبر وبحق أقوى الدول التركية فى المنطقة، والتى وصلت إلى الأناضول ومنها تركيا الحالية.

إضافة إلى الدولة التيمورية التى أسسها الأمير تيمور لنك (فى سنة ١٣٣٦ - ١٤٠٥) فيما وراء النهر، وبلاد التركستان، وأمتدت حتى إيران، وأفغانستان، والقوقاز وقد لعبت الدولة التيمورية دوراً محورياً مهماً فى نشر الإسلام فى جنوب آسيا من خلال الأسرة البابرية.

ومن الجدير بالذكر - أن دولة أوزبكستان هى التى قامت مكان الدولة التيمورية فى إقليم تركستان، والتى مازال بها الآثار المعمارية التى شيدها الأمير تيمور، ولكن بعد وفاة الأمير تيمور ضعفت الدولة التيمورية، وتفككت أوصالها، وظهرت ثلاث إمارات مستقلة هى: خانية خيوة، خانية بخارى، خانية خوقند.

وقد ظلت هذه الخانيات فى صراع وتناحر حتى ضعفت قواها ومهدت الطريق لروسيا القيصرية من السيطرة عليها.

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن جنكيزخان، وخلفاءه قد استطاعوا الاستيلاء على

---

(١) إسلام كريموف - أوزبكستان على طريق الانبعاث الروحى - ترجمة مفيد قطيسن - الإمارات العربية - دبى - سنة ٢٠٠٢ ص ١٦١

أملاك الدولة الخوارزمية بعد واقعة (أوترار). وكونوا فى تلك المنطقة مملكة عرفت باسم (التون أوردا أو القبيلة الذهبية)، والتى استقر الحكم فيها لأحد أحفاد جنكيز خان وهو بركة خان (١٢٥٧ - ١٢٦٦) الذى أسلم والذى أدخل الإسلام فى تلك القبيلة، وقام بتوطيد علاقاته بالمدن، والمراكز الإسلامية المختلفة، ومنها مصر(١).

ومن الجدير بالذكر - أن الروس كانوا يدفعون الجزية السنوية لخان القبيلة الذهبية ويخضعون إداريا له، إلا أنه وبعد وفاة بركة خان، وزيادة صراع الأمراء على الحكم انقسمت القبيلة الذهبية إلى ثلاث خانيات: خانية قازان، وخانية القرم، وخانية أصطرحان.

وظل الروس يدفعون الجزية لخان قازان، ثم ما لبثت هذه الخانيات أن تصارعت وتناحرت فيما بينها، حتى ضعفت وأنهارت، فامتنع الروس عن دفع الجزية لخان قازان، ثم ما لبثوا أن استولوا على تلك الخانيات الواحدة تلو الأخرى، وكان آخرها خانية اصطرخان سنة ١٥٥٧م.

ومنذ ذلك التاريخ، وبلاد تركستان تخضع للحكم الروسى القيصرى، والذى تعامل مع أهل هذه البلدان بكل شدة، وقسوة، ومهانة، وإذلال حتى قيام الثورة البلشفية، وانهيار الإمبراطورية القيصرية.

وطالما أن الموضوع يتناول الأيديولوجيا، فلا يمكن فصل هذا المصطلح عن الثورة البلشفية التى جاءت لتؤكد النظام السياسى الذى يستوحى الأفكار الماركسية، وتجعل منها نموذجا لقيادة العالم، وكان من آثار الثورة البلشفية، والتى قامت عام ١٩١٧ أن أمتدت آثارها إلى دول آسيا الوسطى، حيث قام قادتها بتقسيم تركستان ثم ضم تلك البلدان لحظيرة الاتحاد السوفيتى، وانتهاج سياسة استعمارية منظمة، بدأت هذه السياسة الاستعمارية تتبلور فى عدة محاور رئيسية هى:

١- إلغاء الحروف العربية من الكتابة، وفرض الحروف اللاتينية ثم الكريل الروسى (الحروف الروسية) ثم فرض اللغة الروسية.

٢- إجراء التقسيم الإدارى، والتغير الديموغرافى لبلدان وسط آسيا.

٣- استحداث أساليب ثقافية جديدة لتقويض الدين، والثقافة الإسلامية.

---

(١) و. بارتولد - مصدر سابق ص ٢٥٩

٤- محاولة طمس الهوية الإسلامية، والقومية، وزعزعتها فى نفوس الشعوب.

٥- مقاومة أى نهضة أو فكر إسلامى، وبث الأفكار الاشتراكية الشيوعية الإلحادية.

٦- غلق المدارس الدينية، وهدم المساجد، وحرق المصاحف، والكتب الإسلامية.

والجدير بالذكر - أن هذه الإمبراطورية الشيوعية ذات الأفكار، والإبعاد الإلحادية قد انهارت فى أغسطس سنة ١٩٩١، وظهرت جمهوريات وسط آسيا الإسلامية، والتى عرفت باسم رابطة دول الكومنولث الجديد، وهى مجموعة تمثل دول تركستان الغربية وهى: طاجكستان - قيرغيزستان - تركمانستان - كازاخستان - وأزبكستان هذه بالإضافة لجمهورية أذربيجان فى القوقاز[١].

والجدير بالإشارة إلى أنه إذا كانت هذه الجمهوريات الإسلامية قد سلط عليها الضوء بعد الاستقلال، ونالت حظاً أوفر من الإعلام سواء العربى أو الإسلامى أو الدولى فيجب على كل مسلم غيور على دينه ألا ينسى أن هناك جمهوريات إسلامية مازالت ترزح تحت نير الاحتلال الروسى حتى الآن، ورغم جهادها الدائم ومطالبتها بالاستقلال، إلا أن التعتيم الإعلامى العالمى والصمت الإسلامى والمصالح الدولية، قد جاءت جميعها ضد رغبة هذه الشعوب فى الاستقلال وهذه الجمهوريات هى:

(الشيشان - داغستان - الجركس - بشكيريا - بلقارستان - جواشستان - أوستيستان الشمالية)[٢].

ولقد تم اختيار أوزبكستان من بين دول آسيا الوسطى كنموذج للدراسة، وإلقاء الضوء عليها نظراً لوضع هذه الجمهورية الجيوستراتيجى البارز، ومالها من ثقل ديمغرافى، وحضارى بين دول الجوار، وكانت أراضى أوزبكستان قديما يمر بها طريق الحرير العظيم الذى نقل إليها العديد من الثقافات، والحضارات المتباينة، إضافة لما تمثله هذه الجمهورية من ثقل ثقافى، وحضارى حيث أفرزت العديد من العلماء والمراكز الثقافية، والحضارية.

---

(١) ممدوح لطفى - انهيار إمبراطورية شيوعية - قبرص - الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع - سنة ١٩٩٢ صفحة ٢٩١

(٢) لمزيد من التفاصيل يراجع الملحق رقم (٢) بالبحث.

والهدف من هذه الدراسة هو إظهار الدور الحضارى للإسلام فى هذه الدول، وصور الصراع الأيديولوجى بين الماركسية والإسلام.

وفى سياق دراسة تاريخ بعض أسلافنا العلماء، ورقى ثقافتهم الأدبية، والدينية، والعلمية، وبطولاتهم العسكرية، يحاول المؤلف أن يبرز دور التحدى الذى قام به هؤلاء المسلمون تجاه الغزو الأيديولوجى الروسى، هذا بجانب الدور العلمى الذى أثرى به علماء المسلمين جامعات أوروبا، فى مرحلة العصور الوسطى.

وليؤكد مفهوم القومية، والهوية بالنسبة لبلدان وسط آسيا الإسلامية من ناحية، وبينهم وبين باقى الشعوب الإسلامية باعتبارهم نسيجاً واحداً، وذلك إن القومية هى شعور الجماعة بكيانها المميز عن كيان الجماعات الأخرى.

بينما الهوية، تعنى اشتراك مجموعة من السكان فى خصائص قومية واحدة تنبع من المكونات الأساسية للجميع كالثقافة، واللغة، والدين، والعادات، والتقاليد الاجتماعية

بجانب أن الدراسة تحاول إظهار ضعف، وافتقار النظريات، والأيديولوجيات الاشتراكية أمام الأفكار الإسلامية، التى استطاعت الحفاظ على هويتها طوال قرون عدة، وتحت وطأة الاحتلال الروسى البغيض.

كما تهدف إلى إظهار السبل الواجب اتباعها تجاه دول الكومنولث الإسلامى الجديد، لتصبح مسار الدعوة الإسلامية بها بعيدا عن الشطط الإيرانى أو العلمانية التركية، والتى تجد رواجا فى سوق العقيدة فى تلك الجمهوريات الوليدة التى تحتاج من الدول الإسلامية المعتدلة الوقوف بكل جدية، واهتمام بجانبها حتى يتم تصحيح مسار الفكر، والدعوة الإسلامية فى تلك الديار، وحتى تعود لسابق عهدها بالإسلام.

الباب الأول

تركستان الإسلامية
واستيلاء الروس عليها

الفصل التمهيدى
تركستان جغرافيًا وتاريخيًا

المبحث الأول : جغرافية تركستان.

المبحث الثانى : تاريخ تركستان.

جغرافية تركستان:

ذكرت المصادر التاريخية أن الجغرافيين العرب قد حددوا تركستان فى مصادرهم، بأنها ذلك الإقليم الواقع بين نهرى جيحون، وسيحون، والذى يمتد من بحر الخزر (قزوين) ونهر أورال غربا إلى حدود التبت، ومنغوليا، والصين شرقا، وسيبريا شمالا، وأفغانستان جنوباً، وتحتوى على أقاليم (ختن - كاشغر - ما وراء النهر - السند - خوارزم - وجزء من خراسان - بدخشان - بامير) (١).

مع العلم بأن أتراك تركستان من الناحية الاثنولوجية التاريخية، ينقسمون إلى مجموعات من القبائل هى:

مجموعة القبجاق: وهم يمثلون القازاق، والأوزبيك والأويغوريون، والمنغيت والقازاقالباق، وأتراك منطقة قازان فى شمال القوقاز، وهم أتراك الكاشغر، وداغستان والتتر (٢).

مجموعة ترك الجبل: وهى مجموعة تشمل قبائل الأتراك الحضريين الذين يعيشون فى المدن، والقرى من التارنجى، والكاشغريون والقيرغيز، وهم البدو.

مجموعة التركمن والاوغوز (الغز): وهم يمثلون أتراك الوسط (اوتاتوركلر)، وهم التركمن الاوغوز (الغز)، والياقوت، وأتراك آلتاى، وهم حضريون. كما يقطن تركستان من الأقوام غير التركية قبائل التاجيك، وهم من أصل فارسى، ويتكلمون الفارسية ويسكنون منطقة «طشقند» - سمرقند - بخارى - أوراتيه - كانبا دام - كاسان - جست - اسفرة - خزاز - قالموق».

وهناك عدد ليس بالقليل من العرب الذين أتوا إلى تركستان فى زمن الفتح الإسلامى، واستقروا وتتركوا، واصبحوا من نسيج البلاد، ويتكلمون اللغة (الأوزبكية) وهى أحد لهجات اللغة التركية الشرقية (٣).

---

(١) المرجع السابق، ص,١٣

(٢) التتر: مشتقة من كلمة تاتار وهى اسم قبيلة من الأتراك كانوا يمتازون بالسرعة الفائقة، والحركة الخفيفة مما جعل جنكيز خان يجعلهم فى مقدمة جيوشه للإرشاد وعليه أطلق اسم تتر على كل المغول وبعد اختلاط المغول الأتراك واعتناقهم الإسلام سمى أتراك الشرق والشمال وغيرها باسم التتار.

(٣) محمود طه أبو العلا - مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز - القاهرة - جامعة الأزهر - سنة ١٩٩٣، جـ١ ص٤

الفصل التمهيدى

تركستان جغرافيًا وتاريخيًا

المبحث الأول

تركستان جغرافيًا

مقدمة:

ترجع أهمية هذا الفصل إلى ارتكازه على عدة محاور أساسية، تتمثل فى: المحور الأول: جغرافية المكان (تركستان).

أما المحور الثانى فيتناول: تاريخ المكان (تركستان).

وأقصد بالمحور الأول: جغرافية المكان، هو التعريف بتلك المنطقة، وحدودها ومساحتها، ومواردها الطبيعية، والسلالات البشرية التى كانت تقطنها، والتعريف كذلك بالأسماء التى كانت تطلق عليها.

ويقصد بالمحور الثانى «تاريخ تركستان» من حيث ظهور الأصول التركيبية بها، واللغات المستخدمة فى قبائلها، وكذلك الديانات التى ظهرت فى تلك المنطقة، ومدى تأثيرها، وتأثرها بالسلوك البشرى التركستانى.

ومن ثم فإن هذا الفصل يبرز أهمية دراسة الجانب الجغرافى، والجانب التاريخى لبلدان وسط آسيا الإسلامية، إذ أن المساحة المكانية، والمساحة الزمنية قد مهدتا لأهمية هذه المنطقة، وبالتالى لانتشار الحضارة الإسلامية وامتزاجها بالفكر، والعقل البشرى التركستانى.

ولقد عرفت هذه البلاد عند العرب باسم (بلاد ما وراء النهر) أى البلاد الواقعة خلف نهر جيحون (أموردريا)، وسيحون (سيردريا)، وهذه البلاد تقع شرق بلاد فارس (إيران)، وهى بلاد شاسعة عظيمة الاتساع، تمتد من حدود إيران شرقا، فتشمل آسيا الوسطى إلى أن تصل إلى أقصى الشرق عند حدود الصين، وقد عرفت تلك البلاد بعدة أسماء منها [1]:

ما وراء النهر عند العرب، وتعرف عند الفرس باسم «توران»، وتعرف عند اليونانيين باسم «صغديانا» نسبة إلى وادى الصغد، وتعرف عند الأوروبيين باسم بلاد التتار، ويطلق عليها بعض الجغرافيين «منطقة وسط آسيا» وبلاد تركستان.

---

(١) عبد المؤمن السيد أكرم خان - أضواء على تاريخ توران «تركستان» - مكة المكرمة - رابطة العالم الإسلامى سنة ١٤٠٤هـ، ص١١

وهذه الإحصاءات ثابتة، وأن دلت على شيء فإنها تدل على أن سياسة الحكم الروسى كانت مبنية على القمع، والتشريد، وكما هو معروف أن بعد الغزو الشيوعى فى عام ١٩١٨م، وحتى ١٩٢٣م، تم نفى وطرد ما لا يقل عن خمسة ملايين نسمة، إلى مجاهل سيبيريا بالإضافة إلى القتل، والقمع للملايين من سكان تركستان.

جغرافية تركستان الغربية:

وفى ضوء جغرافية المكان تعرف بلاد وأقاليم آسيا الوسطى ببلاد ما وراء النهر (جيحون)، وتعرف كذلك بتركستان الغربية، للتفرقة بينها، وبين تركستان الشرقية، التى مازالت تحت الحكم الشيوعى الصينى، والذى سنذكر نبذة عنها فى نهاية المبحث.

نستطيع أن نحدد مجال الدراسة فى تركستان الغربية، والتى تضم نهرى جيحون، وسيحون المعروفين بنهرى (أموريا وسيردريا)، وكذلك بحر أورال المعروف تاريخيا باسم بحر خوارزم، وهذه المنطقة تضم ستة أقاليم هى:

١- إقليم فرغانه: وقصبتها أخسكيب.

٢- إقليم اسبيجاب: وقصبتها اسبيجاب.

٣- إقليم الشاش: وهو الاسم القديم لمدينة طشقند، وقصبتها طشقند.

٤- إقليم أشروستة: وقصبتها بنجكت.

٥- إقليم الصغد: وقصبتها سمرقند.

٦- إقليم بخارى: وقصبتها بخارى[١].

وتشكل أرض التركستان الغربية منطقة تمتد بين جبال أورال فى الشمال، وجبال هندكوش وبامير، فى الجنوب، وجبال التاى، وجبال نيان شيان فى الشرق، وبحر الخزر (قزوين) غربا.

وتسكن هذه المناطق عدد من القبائل التركية هى:

١- القلمق: وينتشرون فى المنطقة الواقعة بين نهر الفولجا وأنهار أمبا - أورال.

٢- القازاق أو القرغيز: وينتشرون فى المنطقة الممتدة من بحر قزوين، وحتى جبال تيان شان.

---

(١) رأفت الشيخ - صفحات من تاريخ آسيا الحديث - القاهرة - ب. ن سنة ١٩٩٥، ص,٨٤

المساحة:

حسب المصادر الموثوق بها أن مساحة تركستان إجمالا، (٥,٣٤٠,٠٦٦ كيلو متر مربع) مقسمة إلى مساحة تركستان الغربية، والتى نحن بصدد دراستها، وهى٣,٨٣٦,٥٠٣ كم٢ (وهى تمثل جمهوريات وسط آسيا الإسلامية، وتركستان الشرقية) والتى مازالت تحت الاحتلال والسيطرة الصينية، ومساحتها ١,٥٠٣,٥٦٣كم٢، والتى تحكم الصين الشيوعية سيطرتها عليها، والتى أطلقت عليها اسم «سينكيانغ» أو الولاية الجديدة، إضافة إلى جزء فى شمال أفغانستان، وذلك طبقا لما ورد فى كتاب «موطن الترك فى تركستان، وماضيها القريب» البروفسير زكى وليدى طوغان [١].

السكان:

إن الإحصاءات التى ترد بخصوص عدد السكان بالنسبة لتركستان الغربية، وتركستان الشرقية كانت غير دقيقة نظراً لأن سياسة الحكم الشيوعى الروسى، والصينى تقومان على سياسة القتل، والنفى، والإرهاب، والتعتيم الإعلامى بعد أن حاولت روسيا ترويس تركستان الغربية، وحاولت الصين، ومازالت لتصيين تركستان الشرقية، بفرض اللغة، والثقافة الصينية، ومحو الثقافة الإسلامية من صدور أبناء الوطن الذى كان يعرف دينه باللغة العربية لغة القرآن الكريم، وعليه تمزق الشعب التركستانى المسلم الذى كان يمثل ٩٥٪ منه سنيون على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان، وكانت سياسة القمع والقتل والتشريد تسير ضد شعب تركستان بخطى واسعة، وسريعة، ومحكمة، وفى غيبة الأمة الإسلامية، وتذكر بعض المصادر أن عدد سكان تركستان بقسميها قبل الحكم القيصرى والشيوعى كان ٣٥ مليون نسمة، منها ٢٧ مليوناً لتركستان الغربية إضافة إلى ٨ ملايين تركستان الشرقية.

إلا أن عدد السكان أصبح فى تركستان الغربية ١١,٧٤٠,٣٣٣مليون نسمة، مما يدل على أن هناك نقصاً فى عدد السكان قدره ١٥,٢٥٩,٦٦٩ نسمة، أما الإحصاء الذى ذكره الروس عام ١٩٣٩م فيوضح أن عدد سكان تركستان الغربية هو ٩,٦٣٦,٧٦٠ نسمة، الذى يثبت أيضا نقص عدد السكان تحت الحكم الشيوعى بمقدار ٩,٣٦٣,٢٣٩ نسمة[٢].

---

(١) المرجع السابق ص٥

(٢) المرجع السابق ص٦

سابعا التركمان: وهم قبيلة لم تكن دولة، وهم مسلمون سنيون، على المذهب الحنفى، ويعيشون فى تركمانستان ولهم أقليات فى كل من سوريا، والعراق، وتركيا.

ثامنا الطاجيك: ويعتبرون أقدم السلالات فى أسيا الوسطى وينتسبون إلى الأصول الإيرانية، والأفغانية، وتنتشر الأغلبية فى جمهورية طاجكستان، والباقى فى أوزبكستان وقازخستان وقيرغيزيا - تركمانستان، وأقلية فى تركستان الشرقية.

تاسعا القرغيز: وهم من أصول منغولية وتسكن ٩٠٪ منهم فى جمهورية قرغيزيا، وتوجد أقليات منتشرة فى باقى الجمهوريات الإسلامية.

عاشراً الكاراكالباك: وهى سلالة تركية فى اصولها، وينتسبون بدرجة كبيرة إلى كل من القازاق والأوزبك، ويعيشون منتشرين بين الدول الإسلامية بوسط آسيا، وفى تركيا، وإيران وأفغانستان.

الحادى عشر العناصر القوقازية(١): وهم مسلمون يعيشون فى المنطقة الممتدة بين البحر الاسود، وبحر الخزر، وتم تحديد وضعهم فى عام ١٩٢١ من خلال اعتبارهم جمهورية مستقلة ذاتية الحكم داخل الاتحاد السوفيتى، ثم انقسمت هذه الجمهورية إلى عدة وحدات سياسية أغلبها من المسلمين، وانحصرت فى ثلاث وحدات هى:

أ- الداغستانيين: ويعيشون على طول الشاطئ الغربى لبحر قزوين ويتكونون من ٣٢ جنسية مستقلة.

ب- الشيشان - الأنجوش: وهم يعيشون غرب داغستان.

جـ- الشركس والأبخاز: ومنهم الاباظة ويعيشون فى إقليم قرتشاى وشركس، والشركس يعيشون على الشاطئ الشمالى الشرقى للبحر الأسود، وسفوح التلال الشمالية للقوقاز.

ثانى عشر القرتشاى: وهم جماعة قوقازية من ناحية السلالة، ويسكنون سفوح التلال الشمالية لجبال القوقاز.

ثالث عشر الغجر أو النور: وهم ينتشرون فى كثير من دول الشرق الأوسط وآسيا الوسطى والقوقاز(٢).

---

(١) رأفت الشيخ المرجع السابق، ص٨٧

(٢) المرجع السابق، ص٨٨.

٣- التركمان: وهى قبائل مغولية الأصل تنتشر فى المنطقة الممتدة من بحر قزوين وحتى حدود إيران الشرقية.

٤- الأوزبك: يمتد وجودهم ما بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا حتى بحر أورال، كما امتد نفوذهم إلى بخارى، وطشقند، وسمرقند، وجنوة، وخوقند[١].

السلالات البشرية[٢]:

تضم منطقة وسط أسيا أربع عشرة مجموعة سلالية هى:

١- الشعوب المتحدثة باللغة التركية:

وهو القطاع الشرقى من السهل الأوراسى، وتذكر كتب التاريخ أن الموضع الحالى للأتراك، وانتشار اللغة التركية جاء نتيجة لمجموعة من الهجرات، واستقر بهم الأمر إلى الوضع الحالى.

أولاً التتار: وهم يعيشون فى حوض الفولجا، وهذا الاسم يطلق على مجموعات متنوعة من القبائل المتحدثة بالتركية، وقد أطلق الروس على كل المسلمين بالمنطقة اسم التتار، وهم يعيشون فى حوض الفولجا، أوزبكستان، قازاخستان، تتاريا، بشكيريا، إلى جانب انتشارهم فى سيبيريا وأوكرانيا.

ثانيا الايغور: وهم يعيشون فى إقليم سيكيانغ وهو ما يعرف بالتركستان الشرقية، وهى تحت الحكم الشيوعى الصينى، ويعيش بعضهم كذلك فى أوزبكستان وقرغيزيا.

ثالثا: الاذيرى: وهم المعروفون باسم الأذربيجانيين، ويعيش جزء منهم فى إيران، وجزء فى إقليم أذربيجان، وينتمون إلى الأصل الفارسى.

رابعا الباشكير: وبلادهم تعرف باسم باشيكريا.

خامسا الأوزبيك: وهم ينتشرون فى جمهورية أوزبكستان، وقازاقستان، وأقلية بشمال أفغانستان، وجزء فى تركستان الشرقية.

سادسا: القازاق: وطنهم يمتد من بحر قزوين غربا إلى بحيرة ملكاش شرقا، ونهر سردريا جنوبا والغابة الروسية شمالا، ولهم أقليات منتشرة فى قازاخستان - منغوليا - تركستان الشرقية الصينية.

---

(١) المرجع السابق، ص٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص٨٦.

وهذه الإحصائية تكشف عن الشخصية الزراعية لكل جمهورية وتعكس كذلك الحالة الاجتماعية طبقاً للنشاط الزراعى.

وينحصر التوزيع الجغرافى للأراضى الزراعية فى الإقليم فى المناطق الآتية:

أ- إقليم المرتفعات.

ب- أودية الأنهار والمجارى المائية.

جـ- دلتا نهرى جيحو وسيحون.

د- حول البحيرات.

المناخ والطقس:

اشتهرت تركستان منذ القدم بمناخها القارى، فالجو فى تركستان بصفة عامة جو قارى حار صيفا، شديد البرودة شتاء، إلا أنها تمتاز بخصوبة أراضيها، وجمال مناظرها الطبيعية الخلابة، وكثرة البحيرات، والأنهار، والجبال المكسوة بالخضرة والزهور صيفا، ومكسوة بالثلوج شتاء، ويشكل القسم الكبير من تركستان أراضى صحراوية مليئة بالرمال المتحركة فى بعض الجهات مثل صحراء (قرة قوم)، التى تمتد من سواحل بحيرة أورال إلى إمارة جنوة، وغيرها من الصحارى التى يكون الشتاء بها باردا جدا ويكثر فيها الثلوج التى تذوب فى مطلع الصيف، ويظهر نتيجة لذلك نباتات، وأعشاب صحراوية تخدم الإنسان، وكذلك الحيوان كعلف دائم، ويسكن هذه الصحارى قبائل بدو من القرغيز، والقازاق، والتركمان، ويعملون بتربية الحيوانات.

الجبال والتلال:

تحيط كل جوانب التركستان جبال وتلال - فتركستان تشبه واديًا بين جبلين، ففى شرق وجنوب تركستان توجد جبال شاهقة تكسو قمتها الثلوج، وفى الشمال جبال تشكل منخفضات بحيرتى أورال وابرتيس كما توجد فى غربها مرتفعات (أوست بورت)، وتلال سواحل بحيرة الخزر)قزوين)، وتقع هذه التلال، والمرتفعات بصفة عامة حول تركستان ولا تتصل بصحارى وادى تركستان، وتوجد فى هذه الأودية والتلال أراض خصبة قابلة للزراعة، وعلى ذلك فإن وادى تركستان عبارة عن أرض خصبة ذات خير وفير يسكنها الأهالى بكثافة كما هو الحال فى كل سكان الأراضى الزراعية الخصبة(١).

---

(١) نصر الله مبشر الطرازى - تعليم اللغة الأوزبكية - القاهرة ب.ن سنة ٢٠٠٠ ،ص,٥

ويتحدث سكان آسيا الوسطى عدة لهجات تنتمى كلها لأصول اللغة التركية، ويدين معظم سكان آسيا الوسطى بالدين الإسلامى[١].

والواضح هنا أن هذا التقسيم يعكس ثقافات متباينة تحددها اللهجات التى تدعم العلاقات الاجتماعية فيما بين هذه الجماعات، وتحافظ على هويتها، وتدعم الروابط المختلفة فيما بينها.

التوزيع الجغرافى للأراضى الزراعية ونشاط السكان

نشاط السكان:

يتشابه كثيراً من نشاط السكان فى بلاد آسيا الوسطى حيث، وحدة الأرض، والمناخ، ومن ثم نجد أن نشاط السكان فى تلك المناطق ينحصر طبقا للعوامل الطبيعية فى عدة أنشطة هى:

الزراعة - الرعى - الصيد - استخراج المعادن - الصناعة

وسنوالى هذه الأنشطة بمزيد من التفاصيل:

أولا: الزراعة[٢]:

تشير الدراسات إلى أن الزراعة فى إقليم جيحون، وسيحون قد بدأت فى الألف الخامس أو الرابع قبل الميلاد، وتقدر المساحة الزراعية الآن بالإقليم حوالى ٤٧ مليون فدان موزعة على الجمهوريات الإسلامية الخمس وبيانها:

إحصاء الأراضى الزراعية والإنتاج الزراعى لعام ١٩٩٠[٣]

الإنتاج الزراعى بالطن

م	الجمهوريات	المساحة	القطن	الحبوب	الفاكهة	الخضر
١	قازاقستان	٧٤,٩٠٠,٠٠٠	٣١٥,٠٠٠	٢,٠٤٧,٠٠٠	١٦٥,٠٠٠	١,٨٠٠,٠٠٠
٢	أوزبكستان	٨,٦٣٦,٠٠٠	٥,٢٩٢,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٤٥٣,٠٠٠	٢,٥٨٢,٠٠٠
٣	قيرغيزستان	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٧٤,٠٠٠	١,٦٠٠,٠٠٠	٨٢,٠٠٠	٥٨٥,٠٠٠
٤	طاجيكستان	١,١٤٨,٠٠٠	٩٣٠,٠٠٠	٣٨١,٠٠٠	١٩٣,٠٠٠	٥٦٧,٠٠٠
٥	تركمانستان.	١,٤٣٢,٠٠٠	١,٣٨٢,٠٠٠	٤٣٥,٠٠٠	٤٢,٠٠٠	٤١٤,٠٠٠
	الإجمالى	١١٦,٨١٦,٠٠٠	٧,٩٨٤,٠٠٠	٥,٩٦٣,٠٠٠	٩٣٥,٠٠٠	٥,٩٤٨,٠٠٠

(١) المرجع السابق صفحة (٨٨).

(٢) التقرير الدورى لإدارة العلاقات الخارجية بوزارة الزراعة المصرية لسنة ١٩٩٠

(٣) إدارة العلاقات الخارجية بوزارة الزراعة لسنة ١٩٩٠

المواد الخام من أراضيها، ومن ثم لابد من التعرض لدول وسط آسيا الإسلامية لطرح مزيد من المعلومات والبيانات عنها.

وحيث إن ما ذكر آنفا يمثل صورة واقعية عن جغرافية آسيا الوسطى، وبلاد ما وراء النهر من حيث الأرض، والمناخ، والأنهار، ونشاط السكان من زمن بعيد وحتى الآن فإنه لا يسعنا فى هذا المقام ولإلقاء مزيد من التفصيل على خصوصية كل قطر وبلد من حيث الأبعاد الجغرافية إلا أن نقدم نبذة موجزة عن كل بلد من بلدان دو ل الكومنولث الإسلامى المستقل على حدة.

ومن ثم فإننا نذكر تلك البلاد التى تمثل عراقة الماضى، وعبق التاريخ، وتطلع إلى المستقبل الجديد، وهذه الجمهوريات الإسلامية هى:

كازاخستان - طاجيكستان - تركمانستان - أوزبكستان - قيرغيزستان - أذربيجان وهذه الدول تشغل مساحة جغرافية كبيرة فى آسيا الوسطى وتمتاز بتعدد مواردها الاقتصادية، والبشرية وبها أكثر من سلالة بشرية، وثقافية، ولغوية، وقد تم الإشارة إليها سلفا، وواجب المسلمين فى جميع أنحاء المعمورة الوقوف بجانب إخوانهم فى تلك الدول، ومدهم بالنصح والإرشاد، والمساعدة الفنية والثقافية والوقوف بجانبهم فى المحافل الدولية وخلق جو إسلامى مترابط لكى يعد تمهيدا لوحدة إسلامية شاملة(١).

وإذا كان الكتاب قد تضمن جغرافية آسيا الوسطى تركيزا على تركستان الغربية فإن المؤلف يرغب من باب لفت الانتباه أن يذكر بعض السطور عن تركستان الشرقية التى كانت ومازالت تحت نير الاحتلال الصينى تحت مرأى، ومسمع العالم أجمع بما فيه العالم الإسلامى بحكوماته، ومؤسساته، ومنظماته المختلفة التى تعد بمثابة الحاضر الغائب تجاه إخوانهم المسلمين فى تركستان الشرقية لما يتعرضون له من قتل وإبادة جماعية يعلمها الجميع رغم محاولات التعتيم الإعلامى الصينى، والصمت العالمى والعجز الإسلامى.

نبذة عن جغرافية تركستان الشرقية:

تنحصر تركستان الشرقية فلكيا بين خطى عرض ٣٦- - ٤٨- شمالا أى أنها تقع فى نصف الكرة الشمالى وتتقاسم أراضيها المناخات المعتدلة - المعتدلة الباردة والجافة كما أنها تقع بين خطى طول ٧٥- - ٩٨- شرقا، أى أنها تقع فى

---

(١) محمود طه أبو العلا - مؤتمر المسلمين - مرجع سابق ج١ ص٨.

البحيرات والأنهار:

توجد فى تركستان العديد من البحيرات، والأنهار منها بحيرة آورال، والتى تصب فى نهر جيحون (أمودريا) - سيحون (سيردريا)، وهذان النهران هما عصب الحياة بالنسبة لتركستان، ومن الأنهار الشهيرة أيضا فى تركستان نهر ذرافشال وهو يروى وادياً يسمى باسمه ويمتاز بالأرض الخصبة ويمر بسمرقند وبخارى.

وهناك أنهار أخرى مثل نهر تحن (هربرود)، ومرغاب، وهما يجريان نحو بحيرة أورال، ومن البحيرات الشهيرة فى التركستان بحيرة بالقاش (بحيرة القرغز) وبحيرة أيصبق كول، وبحيرة الأكول، وبحيرة شيلى كول، وذلك فى إقليم تركستان الغربية[1].

ثانيا: الثروة الحيوانية والرعى:

تعد الثروة الحيوانية فى تلك البلدان من أهم المصادر الكبرى للدخل القومى والفردى، على حد سواء فمنذ القدم، وحرفة الرعى تمثل دلالة على ثراء الفرد والأسرة بما يمتلكه من عدد رؤوس الماشية أو الأغنام، ومن ثم تمثل تلك الحرفة أهمية فى نشاط السكان ووضعهم الاجتماعى.

وظلت حرفة الرعى، وتربية الماشية والأغنام تزداد بصورة كبيرة فى تلك المنطقة، لتوافر مناطق الاستبس، والمراعى الوفيرة، ألا أنه وبعد الاحتلال الروسى تم إرغام العديد من البلدان على تربية الخنازير وبصورة جبرية، وإن كان الهدف الظاهرة وزيادة الدخل العام، ولكن الهدف الأيديولوجى هو إرغام المسلمين وإذلالهم على التعامل مع الخنازير وتربيتها والتعايش معها[2].

ثالثا: الصناعة والتعدين:

يمتاز إقليم آسيا الوسطى بوفرة المواد الخام، وعلى رأسها النفط الذى يمثل عصب أى صناعة، ومصدراً من مصادر الدخل القومى الأساسى، ومن المعلوم أن تلك البلاد غنية بموادها الخام المختلفة من نفط، وحديد، ونحاس، وقصدير، وغيرها من المواد التى تقام عليها عدة صناعات كبرى، وبعد الاستقلال أصبحت لكل دولة شخصية مستقلة تميزها عن غيرها لما تشتهر به من صناعة، واستخراج

---

(١) عبد المؤمن بن السيد أكرم خان - مرجع سابق، ص,١٨

(٢) نصر الله الطرازى - مرجع سابق، ص,٩

ومن ثم يجب على المسلمين فى كافة أرجاء العالم، إلقاء الضوء على هذا الجزء الغالى من أرض الإسلام، والتى تفرض عليه السلطات الصينية تعتيما إعلاميا شديدا، فيجب على جميع الدول الإسلامية الاهتمام بهذه البقعة الإسلامية، وسكانها المسلمين المنسيين، حتى لا يسألوا أمام الله عن تقاعسهم فى مساندة إخوانهم المسلمين المستضعفين فى تلك البلاد[1].

(١) عبد القادر طاش - المرجع السابق، ص, ١٣٠

نصف الكرة الشرقى وهى فى أقصى شرق العالم الإسلامى، بينما تقع فى غرب وشمال غرب الصين الشيوعية ويحدها من الجنوب التبت وكشمير ومن الشرق الصين الشيوعية ومن الشمال جمهورية منغوليا الشيوعية، ومن الغرب جمهوريات قازاقستان - قيرغيزيا، وطاجكستان، ومساحة تركستان الشرقية حوالى ٢ مليون كم٢[١].

وسكان هذا الإقليم تركستانيون شرقيون وهم قسم من الجنس المغولى «الفرع الصينى» وهم يشبهون الصينيين من حيث الشكل.

ويعمل السكان بالزراعة حول نهر تاريم وعلى سفوح الجبال، وتمتاز مدنهم بالشكل الإسلامى ومنها مدينة (أورحجى) وهى العاصمة وكذلك مدينة كاشغر - قول - شاهد الله وغيرها، ويتكلم السكان اللغة التركية بجانب اللغة الصينية التى فرضها المحتل الصينى وأجبرهم على التعامل بها كلغة رسمية، ويقدر عدد السكان بحوالى ٨ ملايين نسمة، وقد قرر سفير أفغانستان فى القاهرة فى إحدى المحاضرات[٢]:

أن عدد سكان تركستان الشرقية قبل الاحتلال الصينى كان ١٥ مليون نسمة، ونتيجة للفتك والتشريد والقتل أصبح عددهم الآن ٨ ملايين نسمة، ومع كل هذا القمع، والظلم فإن شعب تركستان مازال صامدا ضد الاحتلال الصينى طالبا الاستقلال بأرضه ودينه.

ويتكون شعب تركستان الشرقية من عدة قبائل هى:

الأويوغور - القازاق - القراغيز - الأوزبك - التتار - التاجيك، والشعب التركستانى الشرقى المسلم يمثل ٨٢٪ من عدد السكان، والباقى اقليات غير مسلمة تم تهجيرهم بمعرفة السلطات الصينية، ونشاط السكان معتمد على الزراعة والصيد والتعدين والصناعات الخفيفة، والسلطات الصينية لا تقدم لهم المعلومات الفنية والتكنولوجية لتظل بلادهم متخلفة عن ركب الحضارة، وهذه البلاد التى تعيش حتى الآن تحت الاحتلال الصينى، وتتعرض للقتل والإبادة فى كل يوم، لا لشىء إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله.

---

(١) عبد القادر طاش - تركستان المسلمة وأهلها المنسيون - القاهرة - دار الفتح للإعلام العربى سنة ١٩٩٩، ص١٢٩

(٢) تمت المحاضرة بكلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر فى حفل تأبين المرحوم أ.د/ نصر الله الطرازى فى ٢٠ مايو سنة ٢٠٠٢

ومن حيث تقديم نبذة تاريخية عن التركستان فالواقع، والحقيقة تقول إنها بلاد حباها الله جمالا وخضرة ومياهًا وخيرا وفيرا.

ففى أرض تركستان نبتت أصول الأتراك، وعلى هذه الأرض ترعرعت مزارعهم واغترفوا من حضارتها، وعلومها، وتسلحوا بمجدها الخالد مما مكنهم من تكوين دولة قوية تحت لواء واحد جمعت بين قبائلهم المتناثرة، والمتناحرة فكانت لهم الغلبة، وكان من نصيبهم الريادة فى الثقافة والحضارة وقد استطاعت حضارتهم أن تظل شامخة على مدى قرون وقد سجل لهم التاريخ السيادة والقيادة.

وهذه الأرض التى خرجت من أحشائها قبائل الأتراك الذين قدموا أشد جند الله وأقواهم، وكذا علماء أفذاذا فى شتى مناهج العلوم، والآداب، واللغة، وشتى فروع المعرفة حتى كانت لهم السيادة فى السياسة، والإدارة، والعلم، والأدب.

وتنتشر بأنحاء تركستان أثار أول مدينة إنسانية، وأقدم حضارة بشرية تشهد بما كان لأجداد التركستانيين من نبوغ فى الفن، والعلم، وعراقة فى المجد، والسلطان حتى امتدت دولة الأتراك خارج حدود تركستان، فقد أثبت الباحثون من علماء الآثار وعلماء التاريخ أن تركستان هى أول بلاد اكتشف بها زراعة الحبوب، واستئناس الحيوانات وتربيتها وصقل الأحجار والمعادن واستخدامها.

وقد أثبتت أيضا الكشوف الحفرية التى قامت بها بعثة الحفائر والتنقيب الأمريكية سنة ١٩٠٤ أن بلاد تركستان كانت مهد الحضارة البشرية فقد عثرت هذه البعثة على آثار تاريخية فى شرق بحر قزوين وبالتحديد فى مقاطعة آباد بالقرب من مدينة عشق آباد التركمانية تدل على أن تركستان لعبت دورا مهمًا فى تقدم البشرية(١).

وتركستان هذه هى بلاد شاسعة واسعة تمتد حدودها من الشمال إلى سهول سيبيريا ومن الجنوب إلى جبال هندوكش ومن الشرق إلى جبال التاى ومن الغرب إلى جبال أورال وتقع تركستان فى قلب آسيا وتاريخها يمتد إلى أربعة آلاف وخمسمائة عام كما هو ثابت بأقلام المؤرخين.

ولما كانت اللغة من المقومات المقدسة لكل شعب كالوطن والعلم والتراث، فإن اللغة المستخدمة فى شعب تركستان هى اللغة التركية وهى من لغات التاى أورال التورانية، وهى لغة من اللغات الالتصاقية(٢).

---

(١) نصر الله الطرازى المرجع السابق، ص١٦، ١٧

(٢) و. بارتولد - مصدر سابق ص٢١٩

المبحث الثانى
تاريخ تركستان

تاريخ السكان الأصليين - الترك:

للتعرف على تاريخ الترك يجدر بنا أن نعرف من هم الترك؟ ونتعرف عليهم ،وعلى بيئتهم، وحضارتهم وصفاتهم، ولذلك نبدأ بتعريف مدلول كلمة الترك.

بداية للتعرف عن مدلول، ومعنى كلمة ترك فإن المصادر، والمراجع التاريخية تشير إلى أن كلمة تركستان مكونة من مقطعين (ترك - ستان)، ويعنى المقطع الأول اسم القبائل التى تقطن المكان والمقطع الثانى، ويعنى أرض الخير والنماء ويشير المعنى إجمالا بالفارسية إلى الموطن بالنسبة للقوم أو المكان الذى يكثر فيه الشيء[١].

وقد اختلفت الروايات باختلاف مصادرها، فحين نجد أن مؤرخى القرون الوسطى يذكرون أن أصول شعوب التركستان تنسب إلى (ترك بن يافث بن نوح عليه السلام) وأن ترك قد تولى الحكم بعد أبيه يافث فسميت الأرض التى كان يسكنها باسمه وكذلك القبائل التى كانت تعيش فيها وصارت تعرف ببلاد التركستان، ولما كثر أبناؤه، وأحفاده وصاروا شعوبا وقبائل نسبت كل مجموعة إلى سلطانها وأصبح منهم:

(الغز - الأويغور - القارلوق - القبجاق - وغيرهم)[٢]

ويرى بعض العلماء، والمؤرخين أن هذه نظريات تفتقد إلى الدقة، وإلى المصادر الموثوقة وأن المعلومات الدقيقة والموثوق بها تقول إن الترك هم قوم ينتمون إلى أصل تورانى وهم من الأقوام التورانيين والتى تسمى (التاى - أورال) وهم من جنس المغول والمجر والفنلنديين[٣].

وقد أكد ذلك ابن خلدون فى مقدمته حيث أظهر التشابه بين اللغات (المغولية والمجرية - والفنلندية) وهى اللغات المعروفة عند علماء اللغة باللغات الالتصاقية.

---

(١) شيرين عبد النعيم حسنين مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز - مرجع سابق ج٦ ص١٧٣

(٢) المرجع السابق ص١٧٣

(٣) نصر الله الطرازى مرجع سابق ص١٧

ومن ثم فإن ملوك الترك والروم من جوهر واحد وأقرباء وكلهم أبناء فريدون، بإجماع العلماء الذى يكاد ينعقد على أن البارثيين من التورانيين، وإذا ما نظرنا إلى كل ما كتبه الفردوسى عنهم فى الشاهنامة نجده صفحة واحدة وهو يعتبرهم أهل جاهلية لاحظ لهم من حضارة ولا وجه للإشادة بذكرهم.

وكان البارثيون فى أول أمرهم من البدو الرحل، وفى رأى أحد العلماء أن البدو فى أواسط آسيا ينتسبون إلى جنس التاى أورال وهو نفس الجنس الذى ينتسب إليه الترك(١).

ولم تكن الحدود شديدة الوضوح بين الإيرانيين والتوارنيين، فكانت بعض المناطق تدخل تارة فى حوزة إيران وتارة فى حوزة توران، وفى فترات السلم كان الإيرانيون والتورانيون يصاهرون بعضهم بعضا، وأن الترك والتورانيين ينتسبون إلى «تور» ويسمون بالفارسية «توراتيان» أى بلاد الترك(٢).

وقد ذكرت قبيلة تور فى الابستاق وقيل عن أهلها إنهم يملكون جيادا سريعة، وبينهم وبين الإيرانيين عداء شديد، أما فى النصوص البهلوية فقد وردت بلاد توران بمعنى بلاد تركستان(٣).

ومن هنا نرى، أن الروايات القديمة، والحديثة قد اختلفت فى أصل بلاد التركستان ولكن الأقرب إلى الصواب يذكر على لسان المؤرخين المحدثين الذين قرروا أن تركستان هى بلاد الترك، وأنها تكونت من عدة قبائل، وإن أصل اللغة التركية نبت من هذا الإقليم، وبحكم قانون الطبيعة كثرت القبائل، وتعددت أسماؤها تبعا لسلاطينها وتعددت لهجاتها، وأصبحت تشمل العديد، والعديد من القبائل المتباينة فى السلوك،، واللغة رغم الأصل التركى الذى يربطهم جميعا.

ولذا تستلزم الدراسة التعرف على سكان تلك المناطق وعلى القبائل التى كان لها الأثر المباشر فى توحيد إقليم تركستان رغم الصراعات والنزاعات الإقليمية التى دأبت على تفتيته.

فقد تكونت فى تلك المناطق قبائل ذات قوة وغلبة وتعددت بتعدد سلاطينها الأقوياء لمقاومة الغزاة من الإيرانيين واليونانيين والمغول وغيرهم، ومن تلك القبائل على سبيل المثال قبائل كوك ترك والتى أصبحت دولة سنة ٥٢٢(٤).

---

(١) المرجع السابق ص٣٧٦

(٢) المرجع السابق، ص٣٧٦،

(٣) نصر الله الطرازى.. المرجع السابق.. ص١٣

(٤) نصر الله الطرازى، ص٣١

وتشير المصادر التاريخية إلى أن الترك فى الأصل بدو، وكانت لهم هجرات كثيرة فى الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب، ولذا فإن الترك كسائر الأقوام يتكونون من قبائل مختلفة، وبسبب ابتعادهم عن بلدهم الأصلى تركستان اختلفت لهجاتهم، وتباينت بحيث يمكننا القول بأن اللغة التركية الأصلية (التاى أورال) قد تفرعت إلى فرعين كبيرين، وهى النوع الخاقانى)التركية الشرقية) والفرع الاوغوزى وهى (التركية الغربية)، ثم تفرع الفرع الشرقى الخاقانى لعدة لهجات أهمها: اللهجة الاويغورية (الجغطائية - الاوزبكية)، ومنها اللهجات القازاقية - القرغزية - التركمانية.

أما الفرع الاوغرزى «الغزى» أى الفرع الغربى، فقد تفرع هو الآخر إلى عدة لهجات مختلفة فى الفولجا - القوقاز - آسيا الصغرى (الأناضول)، ولهذا الفرع لهجتان لهما أدب مكتوب، وهى اللهجة الأذرية، واللهجة الأناضولية أو التركية العثمانية (التركية الحديثة، وهى المستخدمة حاليا بتركيا)[1].

وتعتبر زمرة اللغة التركية هى الزمرة الأكثر انتشارا إذ تتحدث بها شعوب تنتشر فى سواحل البحر الأبيض المتوسط، وأقصى سيبيريا، وأغلب شعوب آسيا.

أما بالنسبة لأسم توران الذى ذكر فى معرض هذا الفصل، فيقول أ.د نصر الله الطرازى الحسينى:

توران اسم أطلقه التورانيون القدامى على تركستان، وبلاد التتار)التتر)، وقد استخدمت كلمة توران فى كتب التراث القديم مثل:

(الأوفستا - الشاهنامة) بإعتباره اسما مقابلا لإيران[2].

ويؤكد ذلك الأستاذ الدكتور/ حسين مجيب المصرى حيث يقول:

«إذا ما نظرنا فى الأساطير الفارسية ألفينا ما يفيد بأن إيران، وتوران كانتا مندمجتين فى مملكة واحدة تحت حكم ملك واحد، فيقال إن فريدون وهو سادس ملوك الأسرة البيشدادية كان له ثلاثة أبناء هم: (سلم - تور - إيرج).

ولما عقد نيته على اعتزال الملك، كتب عهدا وقسم ملكه بين أبنائه الثلاثة بالسوية، فوهب تور «تركستان» من نهر سيحون وحتى الصين، ووهب سلم أرض «الروم» وكانت إيران لايرج[3].

---

(١) نصر الله الطرازى المرجع السابق ص,١٨

(٢) نصر الله الطرازى.. تركستان ماضيها وحاضرها.. ب. ن سنة ٢٠٠٠ .. ص٢٠١

(٣) حسين مجيب المصرى - صلات بين العرب والفرس والترك - القاهرة - الدار الثقافية للنشر - سنة ٢٠٠١م.

٢- **القالموق**: وينتشرون فى الاراضى التى تمتد شرق فرغانة.

٣- **القيرغز - أوطوكوز - أويغور**: وينتشرون فى الأراضى التى تجاور القارلوق حتى حدود الصين وهم الاويغور[١].

ويلاحظ أن الغزنويين هم ورثة السامانيين فى إيران، وإن الصراع دام فى منطقة تركستان بينهم وبين القرخانيين، فحين كانوا يحكمون إيران فقد استطاعوا هزيمة القرخانيين واستعادة أراضيهم الإيرانية[٢].

وخلاصة القول: أن سكان ما وراء النهر هم من أصل تركى، وتشير أغلب المصادر التاريخية إلى أن سكان ما وراء النهر قد استفادوا من الثقافة الإيرانية إذ مكنهم ذلك من إقامة عدة ممالك مستقلة فى الفترة السابقة على الفتح الإسلامى، هذه الممالك هى[٣] إقليم غرب نهر جيحون.

١- **مملكة طخرستان**: وكانت أهم تلك الممالك وتقع على جانبى نهر جيحون، وعاصمتها مدينة بلخ.

٢- **مملكة الختل**: وهى أول مملكة وراء نهر جيحون وقصبتها مدينة هليك ومنك.

٣- **مملكة صغانيان**: وهى مملكة عظيمة وقصبتها صغانيان.

٤- **مملكة الصغد**: وقصبتها مدينة سمرقند ويقال إن بخارى عاصمتها التجارية وسمرقند العاصمة السياسية.

٥- **مملكة خوارزم**: وقصبتها مدينة الجرجانية.

٦- **إقليم أشرستة**: وقصبتها بونجكت.

٧- **إقليم فرغانة**: وقصبتها إخسبكت.

٨- **إقليم الشاش**: وقصبتها طشقند.

وهذه هى أقاليم ما وراء النهر التى فتحها المسلمون فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بن مروان ٨٦-٩٦هـ، بقيادة البطل الفاتح كتيبة بن مسلم الباهلى وإضافة إلى عدة أقاليم شرقى نهر سيحون وهى (فرغانة - الشاش - وطشقند) واشروسنة، وقد مضى كتيبة فى فتوحاته حتى وصل إلى منطقة كاشغر والصين[٤].

---

(١) المرجع السابق ص٧٠

(٢) المرجع السابق ص٧٠

(٣) عبد الشافى عبد اللطيف - مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز - المرجع السابق ص٩

(٤) المصدر السابق ص١١

وكانت هذه المملكة واسعة الأرجاء وذلك فى القرن السادس الميلادى وبدأت فى مانغوليا وتمتد إلى البحر الأسود وهم شرقيون أو شمال شرقيون، وغربيون وكانت لهم علاقات مع الصين وفارس وبيزنطة وغيرها.

ومن القبائل القوية كذلك الاويغور، وهم من الأتراك الذين سكنوا شرق تركستان وحوض نهر تاريم ولهم لهجة خاصة مختلفة عن قبائل كوك ترك، كما أنهم من أصل حضرى ولهم مدائن عظيمة مثل تورنان - وقرة خوجو، وقد تأثر الاويغور بما جاءهم من حضارات مأخوذة من الصين والهند وفارس والعرب واصبحوا بذلك من أعرق الشعوب التركية فى الحضارة والعمران.

وقد انتقل الحكم من الأوغوز التركى إلى الاويوغور حوالى سنة ٧٤٥م وتطورت دولتهم وكان لها مجد وشأن وظلت دولتهم فى أوج حضارتها وعظمتها إلى القرن الثانى عشر الميلادى حيث استولى عليها جينكيزخان(١).

وقد كانت تلك البلاد تدين بدين الشامامية وهو دين وثنى يعبد اتباعه كل شىء يسمو على مداركهم وكانت الشامانية منتشرة بين المغول فى موطنهم الأصلى منغوليا قبل دخولهم للدين البوذى القادم إليهم من التبت.

وقد عرفت هذه المنطقة العديد من الديانات منها: (البوذية، والمانوية، وكذلك الزرادشتية) القادمة من بلاد الفرس، وقد عرف الترك فى تركستان الديانة المسيحية التى حملها إليهم المبشرون فى القرنين الرابع والخامس الميلادى، وظل الوضع كذلك إلى أن دخل المسلمون تلك البلاد ونشروا الدين الإسلامى بها، وقد كان للقبائل التركية فى تلك البلاد شأن عظيم، وحكم شديد وظهرت منهم قبيلة التون أوردا أى القبيلة الذهبية والتى حكمت مناطق وسط آسيا بما فيها القبائل الروسية وكان الروس يدفعون الجزية لزعماء تلك القبيلة، ولمزيد من الإيضاح سنلقى عليها بعض الضوء فى الفصل اللاحق من هذا الكتاب.

وطبقا لما ورد بكتب الجغرافيين العرب والتى ترجع للقرن العاشر الميلادى، وهو العهد الكلاسيكى لكتابة الجغرافيا عند العرب فإن قبائل الترك فى الأرض الممتدة إلى حدود الصين هم:

١- **الغز:** وينتشرون فى الأراضى الممتدة من بحر الخزر إلى أواسط نهر سرديريا ومنهم العثمانيون والسلاجقة.

---

(١) و. بار تولد - تاريخ الترك فى آسيا الوسطى - ترجمة: أحمد السعيد سليمان - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٩٦ ص٤٧

وأن التاريخ قد ذكر أن قبائل آسيا الوسطى من المغول وغيرهم، ظلوا متفرقين متنازعين لا ينضوون تحت لواء واحد حتى تمت الفتوحات الإسلامية فى تلك البلدان وإن كان لحكام الدولة التيمورية الفضل فى إخضاع كافة الدول، والإمارات الإسلامية فى آسيا الوسطى، وكذا معظم الأراضى الإسلامية، تحت راية الدولة التيمورية، وبذلك فقد خلق نوعا من التحالف الإسلامى القوى على النزاعات العرقية والإقليمية، ووحد البلاد تحت رايته.

ويؤكد المؤلف أن صراع وأطماع القوى الخارجية كان له الأثر الأكبر فى تفتيت وضياع الدولة الموحدة فكان التخطيط المسيحى القيصرى مع الأطماع الصليبية المسيحية الأوروبية هو صاحب الأثر المباشر فى إضعاف القوى الإسلامية التى راحت تتناحر فيما بينها فأصبحت الدولة العثمانية ضد الصفوية، والدولة التيمورية ضد الطرفين، وضد دولة المماليك، وهكذا بات جليا أن الصراعات الإسلامية هى سبب ضياع أرض الإسلام، وضعف قوته فى معظم دول آسيا الوسطى، وغيرها وتخاذلها أمام تحالف الدول المسيحية التى استغلت فرص الضعف والنزاع الإسلامى، واستولت على أراضيه وممتلكاته وأخضعت شعوبه للاحتلال والهوان.

وليس أدل على ذلك من قيام الروس القيصريين بمحاربة إمارة قازان، وهى الإمارة التى كان الروس القياصرة يدفعون لها الجزية السنوية، ولكن نتيجة لضعف حكام تلك الإمارات والدول الإسلامية استطاع أعداء الإسلام من النيل منهم.

وكانت إمارة قازان وغيرها من إمارات آسيا الوسطى من نصيب روسيا القيصرية وأصبحت تركستان الغربية بأكملها تحت السيطرة الروسية، وتركستان الشرقية تحت السيطرة الصينية، وأملاك الإمبراطورية العثمانية مقسمة بين دول الصليب، وهكذا أصبحت كل أرض المسلمين وشعوبها تحت سيطرة أعدائهم نتيجة تخاذلهم، وضعفهم وعدم توحيد كلمتهم.

ومن ثم يمكن القول إن الإطار المكانى للدراسة والمتمثل فى دول وسط آسيا الإسلامية له دلالة فى مسيرة الحضارة الإسلامية بما أسهمت به هذه المنطقة من معطيات ثقافية أثرت الثقافة الإسلامية التى هى وجه حضارتها، بل ومسيرة تاريخها فى نهضة الشعوب الإسلامية، وكانت بمثابة إشعاع حضارى بالنسبة للحضارات الإنسانية الأخرى.

ومن الدراسات الحديثة لتاريخ الترك فى آسيا الوسطى ما جاء فى كتاب تاريخ الترك فى آسيا الوسطى للمؤلف الروسى بارتولد، وكذلك ما جاء فى كتاب «الإسلام فى آسيا الوسطى» بين الفتحين العربى والتركى للمؤلف ا.د حسن احمد محمود[1].

تفيد الدراسات التاريخية بأن تلك البلاد لم تكن مستقرة قبل الفتح الإسلامى، وكانت المنازعات بين تلك القبائل والممالك، والدويلات تكاد تكون مستمرة، وقد شكل هذا الأمر خطرا على الوجود الإسلامى فى خراسان الإيرانية، والمتتبع للأحوال السياسية، والاجتماعية، والدينية لبلاد ما وراء النهر قبل الفتح الإسلامى يجد كثيرا من الصعوبة فى الحصول على المعلومات الدقيقة الموثقة اللهم إلا الفترات اليسيرة السابقة على الفتح الإسلامى، والتى تحدثت عنها نقوش أرخون أو المصادر الصينية أو الحوليات الوسطى التى تتفق أحيانا، وتختلف أحيانا أخرى، وعلى أى حال فإن تاريخ أسيا الوسطى ارتبط ارتباطًا وثيقا بتاريخ ظهور المغول، فى القرن الثالث عشر بقيادة هولاكو حفيد جغتاى بن جنكيزخان، الذى زحف إلى العراق فدمرها وخربها وأحرقها ثم إلى الشام حيث هزمه سلاطين المماليك فى موقعة عين جالوت سنة ١٢٦٠، منذ ذلك الوقت تجزأت دولة المغول حتى ورثها تيمورلنك، والمغول هم تلك القبائل القادمة من منغوليا، واجتاحت البلاد التى أمامها فى اتجاهها الغربى بقيادة القائد المغولى جنكيزخان، والذى أنجب ثلاثة من الأولاد كونوا دولا كبيرة وقوية فى آسيا من شرقها إلى غربها وسنذكر أحفاده من ابنه الأكبر / جوجى / وأشهرهم أوردا - «شيبان» مؤسس دولة الاوزبك و«باطى» والد« بركة خان» مؤسس القبيلة الذهبية بوسط آسيا، والتى كانت تحكم كل المناطق من وسط آسيا وحدود سيبيريا وغربا حتى بلاد البلغار وكان تحت سيطرتهم القبائل الروسية، التى كانت تقوم بدفع الجزية لهؤلاء الحكام الذين دخلوا الإسلام وأصبحوا من حماته وأصبحت لهم الصلات القوية بحكام المسلمين فى مصر وغيرها ومنهم بركة حفيد جنكيزخان، والذى زوج ابنته للسلطان بيبرس حاكم مصر سنة (١٢٦٠ - ١٢٧٧)[2].

ونلاحظ أن دولة المغول لم تكن من أصول تركية، ولكنها تتركت بعد غزوها لبلاد الترك واستقرارها بها، وإن كانت تعرف بالمغول أو التتار، وهو الاسم الذى ظل يطلق على أغلب قبائل آسيا.

---

(١) حسن احمد محمود - الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى - الخرطوم - دار الفكر العربى سنة ١٩٦٨ ص١٧٨

(٢) المرجع السابق ص١٨٠

الفصل الأول

الفتح الإسلامى لبلدان آسيا الوسطى وما وراء النهر

المبحث الأول

تركستان منذ الفتح الإسلامى وحتى استيلاء الروس عليها

مقدمة:

من شواهد الدراسات التاريخية يتأكد أن الحضارة الإسلامية تجاوزت الزمان والمكان، وقد امتزجت بالحضارات الأخرى وتفاعلت معها، وأخذت منها ما يتمشى مع عقيدتها بل يمكن القول إنها أثرت، وأثرت الحضارات الأخرى، ولكى نسترجع هذه الشواهد لابد أن نتحدث عن الفتح الإسلامى فى بلاد ما وراء النهر.

والذى يستلزم التعرض ولو بإيجاز شديد عن فتح إيران (بلاد فارس)، باعتبارها قاعدة انطلاق الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر، حيث أن الفتوحات الإسلامية لتلك المناطق كان مركزها وقاعدتها الرئيسية هى إقليم خراسان، شمال شرق إيران، وكان له دور رئيسى فى الفتوحات الإسلامية، إلى أقصى الشرق بحدود الصين، وشمالا إلى بحر قزوين، وجنوبا إلا بلاد الهند، والمحيط الهندى، وهذه الفتوحات تمت على عدة مراحل عبر التاريخ الإسلامى، وكان لكل مرحلة دور أساسى ومؤثر فى تثبيت أركان الدولة الإسلامية وفتوحاتها وتلك المراحل هى:

المرحلة الأولى: من ٨٦هـ - ٨٧هـ - (٧٠٥م - ٧٠٦م).

المرحلة الثانية: من ٨٧هـ - ٩٠هـ - (٧٠٦م - ٧٠٨م).

المرحلة الثالثة: من ٩١هـ - ٩٣هـ - (٧٠٩م - ٧١١م).

المرحلة الرابعة: من ٩٤هـ - ٩٦هـ - (٧١٢م - ٧١٤م).

وتبدأ المرحلة الأولى[١]:

فى أواخر عهد الخليفة الثانى أبى بكر الصديق، وبالتحديد فى عام ١٢هـ، وكانت تتجه إلى بلاد فارس، وظلت هذه الفتوحات بعد العام ١٣هـ إلى عام ٢٣هـ،

---

(١) حسن أحمد محمود - الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى - الخرطوم - دار الفكر العربى سنة ١٩٦٨ ص١٢٥

الباب الأول

الفصل الأول

الفتح الإسلامى لبلدان آسيا الوسطى وما وراء النهر

المبحث الأول : تركستان منذ الفتح الإسلامى وحتى استيلاء الروس عليها .

المبحث الثانى : العلاقات الإقليمية فى آسيا الوسطى وروسيا القيصرية .

ومن هذا المنطلق فقد كلف أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ولاته على البصرة بالتتابع أبو موسى الأشعرى، عبد الله بن عامر، وكذلك ولاة الكوفة بالتتابع سعد بن أبى وقاص، والوليد بن عقبة بالتصدى لحركات التمرد التى تضطرب بها بلاد فارس.

وقد كان لهم ما أرادوا وتم إخضاع كل بلاد الفرس لراية الإسلام مرة أخرى، ولكن حركة الفتوح الإسلامية قد توقفت من عام ٣٠ - ٣٥هـ، وهى تمثل الشطر الثانى من خلافة عثمان بعد حدوث الفتنة بين المسلمين.

واستمرت كذلك طوال فترة خلافة على بن أبى طالب من عام ٣٥ - ٤٠هـ، وكان قصارى جهد قادة المسلمين هو الحفاظ على الفتوحات التى تمت، والأراضى التى أصبحت تحت راية الإسلام، وبعد مقتل الإمام على عام ٤٠هـ، وتولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة بعد الإجماع على خلافته عام ٤١هـ، فقد وجد أن الفتوحات التى تمت فى فارس لم تؤد الغرض المطلوب، وأن شعوب تلك البلدان لم يتفهموا الدين الإسلامى الصحيح، ولذا أمر ولاته بتهجير الأسر العربية وإسكانها فى البلدان المفتوحة، وقد تم ذلك على يد زياد بن أبى سفيان والى العراق فقد قام بتهجير ٥٠ ألف أسرة عربية وعائلاتهم من البصرة والكوفة إلى خراسان، خلال المدة من ٤٥ - ٥٣هـ[١].

وكان لهذا الفعل الحكيم الأثر الكبير فى اختلاط الأسر الفارسية بالأسر العربية، ونتج عن ذلك الإقبال الشديد من الفرس على الدخول فى الإسلام طواعية.

المرحلة الثانية:

تبدأ المرحلة الثانية بفتح بلاد ما وراء النهر من عام ٨٧ - ٩٠هـ، وكانت أهم مرحلة استطاع الإسلام فيها أن يثبت أقدامه بين أهل تلك المناطق، وكانت على يد القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلى علما بأن فتوحات قتيبة العظيمة هذه كانت قد مهد لها قادة عظام من قواد المسلمين خلال فترة حكم معاوية بن أبى سفيان من عام ٤١ - ٦٠هـ حيث بدأ المسلمون يجتازون نهر جيحون وعلى رأسهم الصحابى الجليل الحكم بن عمرو الغفارى عام ٥٠هـ - ٦٧٠م، حيث عبر نهر جيحون وفتح بلاد الصغديان ثم تبعه القائد العربى عبيد الله بن زياد وفتح بخارى، وبيكند سنة ٥٥هـ - ٦٧٤م ثم فتح سعيد بن عثمان سمرقند وقد استشهد أثناء المعركة قثم بن عباس بن عم رسول الله ﷺ.

---

(١) المصدر السابق، ص٦٧

وهى فترة ولاية الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، بقيادة سعد بن أبى وقاص، الذى دخل القادسية بعد معركة عظيمة هزم فيها جيش الفرس بقيادة أعظم قوادهم «رستم»[1] وتابع زحفه إلى المدائن مقر عاصمة ومقر حكم الأكاسرة، ودخلها وجلس فى إيوان كسرى الفرس فى القصر الأبيض، ذلك الإيوان الذى شهد تمزيق رسالة النبى ﷺ، التى أرسلها إلى كسرى الفرس، أبروز الثانى يدعوه فيه للإسلام، ولقد حقق الله للمسلمين دعوة الرسول الكريم على كسرى الفرس بأن يمزق الله ملكه، وقد كان ذلك على يد القائد المسلم/ سعد بن أبى وقاص، الذى واصل فتوحاته فى بلاد الفرس، مما دفع بآخر كسرى للفرس يزد جرد الثالث للهروب، والفرار أمام زحف الجيوش الإسلامية، وقد طلب الخليفة عمر بن الخطاب من القائد سعد بن أبى وقاص الحفاظ على الجيوش الإسلامية، وعدم القيام بفتوحات جديدة، ويكفى الحفاظ على حدود الدولة الإسلامية، ولكن العداء الذى يضمره الفرس للمسلمين بدأ يظهر فى صورة تمرد، ونقض للمعاهدات التى منحها لهم المسلمون مما دعا الخليفة لبحث الأمر بعد أن توفرت لديه معلومات أكيدة عن اجتماع الفرس حول يزدجرد الثالث فى نهاوند لاعداد العدة ولمهاجمة جيش المسلمين، الأمر الذى دعا الخليفة عمر بن الخطاب لأخذ زمام المبادرة بإرسال جيش بقيادة النعمان بن مقرن الذى التقى مع جيش الفرس فى معركة فاصلة فى تاريخ فارس، والفتوحات الإسلامية فى آسيا الوسطى[2]. وهى معركة النهاوند عام ٦٤٢م، وفيها انتصر جيش المسلمين انتصارا عظيما اندثر على أثره جيش الفرس ومزق تمزيقا حتى أن المؤرخين قد أطلقوا على تلك المعركة «فتح الفتوح» لأن الفرس لم تقم لهم قائمة بعد تلك المعركة وفر يزدجرد الثالث مما دعا عمر بن الخطاب إلى إصدار أوامر للجيوش الإسلامية بالاستيلاء على كل بلاد فارس، وقد تحقق ذلك وخضعت كل أركان الإمبراطورية الساسانية فى فارس فى عام ٢٣هـ، وهو العام الذى قتل فيه الخليفة عمر بن الخطاب على يد أبو لؤلؤة الماجوسى، مما دفع الفرس للتفكير من جديد فى القيام بأعمال التمرد والردة والثورة على الحكم الإسلامى، بحسبان أن المحرك الرئيسى للفتوحات الإسلامية فى بلاد فارس هو الخليفة عمر بن الخطاب، وبوفاته أتت الفرصة سانحة لهم بالثورة على المسلمين، وطردهم إلا أن خلافة عثمان بن عفان كانت تمثل مرحلة تثبيت أركان الدولة الإسلامية، والحفاظ على الفتوحات التى تمت على يد أبو بكر وعمر رضى الله عنهما.

---

(١) أحمد تونى عبد اللطيف - مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز - مرجع سابق - ج٢ ص٦٥

(٢) المصدر السابق، ص٦٦

وكان هؤلاء الرهائن من أعداء الملكة، وأرادت أن تتخلص منهم بمنازعتهم لها للحكم.

ثم بعد أن استقرت الأمور فى بخارى ترك القائد العربى بعض دعاة الإسلام القادمين معهم واتجه بجيوشه إلى الصغد، وسمرقند ثم عاد مع الرهائن عن طريق خراسان إلى الكوفة، إلا أن الملكة نقضت العهد وتحالفت مع قبائل أخرى ضد الإسلام، وقام العرب بحصار بخارى دون الهجوم عليها وعهد القائد مسلم إلى أحد قواده، ويدعى المهلب باستطلاع أحوال العدو ومعه ٩٠٠ من الجند.

ولكنه قتل وقتل معه حوالى ٤٠٠ فارس من المسلمين، فأسرع إلى نجدته فريق من بين العرب فقاتلوا الملكة ومن معها من قبائل الترك حتى هزموهم، واضطرت الملكة الخاتون (أم طغشادة) أن تعلن خضوعها للمنتصرين من جديد(١).

وطلبت أن تعقد صلحا معهم إلى أن جاء دور القائد العربى الكبير قتيبة بن مسلم الباهلى، الذى أمره الحجاج بن يوسف الثقفى بفتح بلاد ما وراء النهر، وكان ذلك عام (٨٦هـ) فجمع القائد جنده فى مرو حتى أقبل عليه أهل بلخ مرحبين، وساروا فى ركابه إلى مدينتهم حيث فتحها قتيبة وأقر الخطبة باسم أمير المؤمنين، ثم قام بجولة عند نهر الجيحون وعاد إلى مرو.

وقد حارب قتيبة الملكة الخاتون أربع مرات، وفى كل مرة تهزم الملكة وتطلب عقد الصلح وتقدم الهدايا ثم تنقض الصلح، إلا أنه وفى المرة الأخيرة عام (٩٤هـ - ٧١٢م) انتصر قتيبة بن مسلم على الملكة الخاتون (ام طغشادة)، ونتج عن ذلك دخول عدد كبير من أهل بخارى الإسلام عن إيمان وعقيدة، وتصالح قتيبة مع الملكة التى لم تسلم هى وأتباعها على دفع جزية سنوية وقال للملكة:

«أيتها الملكة لسنا مستعمرين، وهدفنا نشر الدين الإسلامى الحنيف وهدى العالم إلى شريعة سماوية بعث الله بها خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ، ولإثبات حسن النية فى كوننا غير مستعمرين، أقترح بأن تقسم بخارى بين المسلمين وغير المسلمين وأن تستخدم كل أسرة بخارية غير مسلمة جنديًا مسلمًا لحفظ أمن الأسرة، وخدمتها، وانني بنيت الجامع هنا، فليكن للجندى المسلم الخادم لدى الأسرة البخارية حرية تامة فى أداء صلواته الخمس فى الجامع ليعود بعد ذلك لخدمة الأسرة، وكونى مطمئنة أن هؤلاء الجند سيكونوا أمناء، وأوفياء جادين فى

(١) د/ نصر الله الطرازى، تعليم اللغة الأوزبكية - مصدر سابق ص٧

وحين نتحدث عن بداية دخول الإسلام فى تركستان لابد أن نتعرض إلى أنه بعد انقراض دولة كوك تورك سنة ٦٤٥م، فى تركستان قامت على أنقاضها عدة دويلات تركية تنازعت فيما بينها وأضعفت الخلافات قواها، ووحدتها القومية، وبدأ المسلمون الفاتحون يستعدون لغزو تركستان فدخلها بعض الداعين إلى الإسلام فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه عام ٦٤٤ - ٦٥٦م) إذ زحف عام ٦٥١م الأحنف بن قيس، وعبيد الله بن عامر رضى الله عنهما إلى خراسان، وما وراء النهر وعقدا صلحا مع أهلها، ولكن ما أصاباه من نجاح لم يكن له الأثر الأكبر فى إدخال الترك فى الإسلام(١).

ولكن الفتوحات الإسلامية بدأت نشطة مرة أخرى فى عهد الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان (٦٦٦ - ٧١٤م) وبالتحديد سنة ٦٦٦م، حين أرسل والى العراق زياد بن ابى سفيان إلى القائد ربيع بن الحارثة إلى خرسان، وتم لهذا القائد الانتصار على كل أعدائه فى إيران الشرقية إلى أن وصل إلى مدينة بلخ والتى تعد الباب الجنوبى لبلاد ما وراء النهر، ولقد فتح العرب هذه البلاد المعروفة بتراثها حتى شواطئ نهر جيحون بسهولة وبعد موت زياد بعث معاوية عبيد الله بن زياد على رأس حملة جديدة إلى بلاد ما وراء النهر، وهاجم عبيد الله بدقة مدينة بيكند المركز التجارى للبلاد، وتم اخضاعها وسار إلى بخارى مع غنائم عظيمة وفى ركابه أكثر من ٤٠٠٠ أسير فاستنجدت ملكة بخارى، وكانت تعرف باسم «الخاتون» أو أم تغشادة بجيرانها الترك، الذين سارعوا لمساعدتها وحاربوا بجانب جيشها عبيد الله بن زياد، ولكن عبيد الله رجع إلى مرو رغم هزيمته لهؤلاء الكفار، ولم تخضع له بخارى وحمل المسلمون معهم عند رجوعهم الكنوز والأسلحة والذهب والفضة، ولكن بدهاء من ملكة بخارى التى ايقنت أن المسلمين لا محالة، سوف يستولون على بخارى ويخضعونها وأهلها للإسلام فقد طلبت الصلح مع عبيد الله، على جزية سنوية مقدارها ألف ألف درهم، وبعد ثلاث سنوات انطلق العرب بقيادة سعيد بن عثمان وبصحبته قثم بن عباس ابن عم الرسول ﷺ يرافقه عدد من الأشراف من دعاة الإسلام.

وحاولت الملكة أم طغشادة خداع العرب، بتقديم الهدايا الثمينة إلا أن القائد العربى رد الهدية وجد فى مهاجمة بخارى، فاضطرت الملكة لطلب الصلح، وأرسلت إلى سعيد بن عثمان ثمانين من الفرسان والأعيان كرهائن ضمانا لتنفيذ ما تصالحا عليه.

---

(١) أحمد تونى عبد اللطيف -- المرجع السابق، ص٦٨

كسابقتها، استطاع قتيبة فيها أن يبسط السيادة الإسلامية على أقاليم ما وراء النهر، بعد أن توج هذه الفتوحات بفتح مدينة سمرقند أعظم مدائن الأقاليم، وكان طرخون ملك الصغد قد أرسل إلى قتيبة بعد انتصاره فى معركة بخارى سنة ٩٠هـ يطلب الصلح، فأجابه لطلبه فصالحه ورجع إلى مرو[١].

ولكن ملك الصغد قد نقض عهده مع قتيبة، وامتنع عن دفع الجزية التى قد التزم بها، مما اغضب قتيبة وقرر أن يضع حدا لهذا العبث وأن يلقن الملك درسا ليكون عبرة له ولغيره، مما ينقضون العهود.

فجهز أخاه عبد الرحمن بن مسلم الباهلى فى عشرين ألف مقاتل، وسيره أمامه ثم تبعه هو فى أهل خوارزم، وبخارى وضرب الحصار على المدينة.

فلما رأى أهل سمرقند عزمه على فتح المدينة بالقوة، كتبوا إلى ملوك الشاش يستنجدون بهم، وقالوا لهم إن العرب إذا ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتوا به، فانظروا لأنفسكم فاستجاب هؤلاء الملوك، واختاروا عددا من أهل النجدة، والبأس، والأبطال، ووضعوا لهم خطة لمهاجمة معسكر المسلمين أثناء انشغالهم بحصار سمرقند.

ولكن قتيبة كان فطنا وأدرك بحسه العسكرى إمكانية حدوث مثل هذه المباغتة، فكان هو السباق فى مباغتتهم بفرقة من جيشه، بقيادة أخيه صالح بن مسلم فهزمهم، وبدد جمعهم وقتل منهم الكثير والكثير وغنم المسلمون أسلحتهم وأمتعتهم، وتدهورت معنويات ملك الصغد بعد أن رأى الهزيمة فى أهل فرغانة، والشاش، ولكن هذا النصر قد رفع معنويات المسلمين، وقوى من عزيمتهم فأحكم الحصار على سمرقند، فلما شددوا الحصار عليها، وأخذوا يضربونها بالمجانيق، ورأى أهلها أن هزيمتهم آتية لا محالة فطلبوا الصلح، فصالحهم قتيبة على الجزية، وأن يخلو المدينة، فلا يصبح فيها مقاتل ليدخلها قتيبة، ويبنى بها مسجدا ويخطب ويصلى بها، وبالفعل دخلها، وحطم الأصنام[٢].

وهكذا بسط قتيبة السيادة الإسلامية على كل أقاليم ما وراء النهر، ثم عاد إلى مرو ليستريح استعدادا للجولة الأخيرة التى سيفتح فيها المناطق السيحونية.

---

(١) خالد عزب - بخارى الشريفة - تاريخها وتراثها الحضارى - القاهرة - مكتبة مدبولى سنة ١٩٩٤، ص١٤

(٢) عبد الشافى محمد بن عبد اللطيف - مرجع سابق، ص١٥

خدمتهم، هذا إذا قبلتى، واذا لم تقبلى فإننا سنضطر أن نبنى ثكنات لجنودنا المسلمين فى بخارى ورفع علم الإسلام».

وقبلت الملكة الخاتون هذا الاقتراح، ودخل الجندى المسلم فى خدمة الأسرة غير المسلمة، ولما رأت الأسرة البخارية غير المسلمة، أن هؤلاء الجنود ذوى أخلاق عالية وأدب جم، وأمناء فى عملهم وأنهم بعد تأدية كل صلاة فى الجامع يعودون، وينادون على الأسرة قبل الدخول، وهم ينظرون إلى مواضع أقدامهم قائلين:

«هل من خدمة نؤديها؟»

وعلى أثر هذه الحكمة العظيمة أسلم أهل بخارى جميعاً، اقتناعاً منهم بأخلاق الإسلام وتربيته(١).

ثم اتجه قتيبة إلى وادى فرغانه، ومنها إلى تركستان الشرقية، ففتحها وتم فتح بلاد التركستان الواسعة، فى عهد السامانيين فى القرن الثالث الهجرى، وكان المسلمون الجدد من أهل هذه البلاد يدخلون الاسلام أفواجا وطواعية، ويتطوعون فى نشر الإسلام.

وعلى ذلك أقبل الترك على تعلم اللغة العربية، لغة القرآن الكريم لدراسة القرآن، والحديث والعلوم الإسلامية المختلفة، وتبحروا فيها حتى صار منهم العلماء العظام فى مختلف العلوم الإسلامية، والإنسانية، وكذا الفنون، والصناعات المختلفة، وعملوا فى بلاد أمير المؤمنين هارون الرشيد، وأصبحوا خير مترجمين لكثير من الكتب، واللغات عن القبطية والآشورية، والسانسكريتية، واليونانية، والرومانية فأثروا مكتبة بغداد التى ضمت مئات الآلاف من المخطوطات النادرة، وكان لهؤلاء العلماء العظام دور فى إيقاظ أوروبا فى القرون الوسطى، وكانوا سببا فى قيام النهضة الأوروبية، وكان لأهل تركستان علاقات حميمة مع العرب، وبغداد، ومصر التى قامت فيها الدولة الطولونية بولاية احمد بن طولون البخارى من عام ٢٥٤ - ٢٩٢هـ والدولة الأخشيدية الفرغانية من عام ٣٢٣ - ٣٥٨هـ وهم من المماليك الذين حضروا مع الفتوحات الإسلامية(٢).

المرحلة الثالثة:

من عام ٩٠ - ٩٣هـ (٧٠٩ - ٧١١م)، وهذه الفترة استغرقت ثلاث سنوات

---

(١) المرجع السابق ص٨

(١) المرجع السابق ص١٠

وفى عهد أبى جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ)، ارتبطت التركستان كلها بالقيادة المركزية ببغداد، ولقد تدفق الأتراك على بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية، كما وفد إليها عظماء العلماء أمثال الإمام البخارى، ومسلم، والترمذى، وابن سينا، والفارابى، والسمعانى، والبيرونى، وغيرهم كثير من العلماء الذين أثروا التراث الإسلامى[١].

ثم قام فى تركستان وتحت ظل الإسلام دول وإمبراطوريات إسلامية، كان لها الفضل الأكبر فى نشر الإسلام، وحضارته كدولة (آل سامان) التى أسست عام ٨٧٤م، والدولة الغزنوية والدولة السلجوقية، والدولة التيمورية، وخانيات تركستان المعروفة، وكذا سلاجقة الأناضول، الذين تحولوا إلى دولة إسلامية ثم جاء العثمانيون عام ١٢٩٩م ليحكموا الأناضول، ويأسسوا الدولة العثمانية، وأصبحت الأمة الإسلامية تمتد من البلقان حتى حدود الصين فى عهدهم والتى عرفت بالإمبراطورية العثمانية.

وفى القرن السادس عشر الميلادى أصاب الأمة الإسلامية فى تركستان الضعف نتيجة النزاعات، والصراعات الداخلية، وحياة الترف التيكان يعيشها الحكام والأمراء حتى أن بلاد تركستان قد انقسمت إلى دويلات، وخانات صغيرة استطاع قياصرة الروس ابتلاعها الواحدة تلو الأخرى، حتى استولى الروس على إمارة بخارى عام ١٨٦٨م، وأصبحت تحت الانتداب القيصرى إلى أن قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م،

واستولى الروس الشيوعيون على تلك البلاد استيلاء كاملا، وضموها لروسيا، وكونوا جمهوريات الاتحاد السوفيتى وظلت هذه البلدان تئن تحت الاحتلال الشيوعى الروسى، بكل ما يحمل من وسائل قهر، وإبادة، وبث أفكار شيوعية إلحادية هدامة، ومعادية للإسلام، إلى أن مَنَّ الله على عباده بتلك المناطق بالحرية مرة أخرى بعد أن نالوا استقلالهم عام ١٩٩١م، ومن ثم الرجوع لدينهم وعقيدتهم وبارئهم[٢].

---

(١) خلف الحسينى - تاريخ القرن التاسع عشر - القاهرة - دار سعد للطبع والنشر لسنة ١٩٥٤ ص١٠٣

(٢) المرجع السابق، ص١٧

المرحلة الرابعة[1]:

من عام ٩٣ - ٩٦ هـ (٧١٢ - ٧١٤م)، وفيها اتجهت الحملات الإسلامية إلى إخضاع المقاطعات الواقعة على نهر سيحون.

ولم تكن جهود الحملات كلها تقترن باسم قتيبة، فقد كان يرسل فى الوقت نفسه الحملات الصغرى بقيادة معاونيه إلى المناطق النائية، مثل حملة أخيه صالح إلى فرغانة، ومثل الحملات التى أرسلت إلى بيكند -خوارزم - كرينيه، وقد امتدت حملاته إلى كاشغر على حدود الصين، وقد رأينا أثناء استعراض تاريخ الفتوحات فى تلك البلدان اشتراك أهل فرغانة، والشاش فى الحرب إلى جانب ملك الصغد، الذى حرضهم على المسلمين.

ففى عام ٩٤هـ عبر قتيبة نهر سيحون لأول مرة، ومعه قوات كبيرة من أهل بخارى، وخوارزم، ووجه قسما منها إلى الشاش (طشقند)، والقسم الآخر بقيادته إلى فرغانة، وخاض معركة شرسة حول مدينة خوقند، ويبدو أن نتيجة المعركة لم تكن حاسمة نتيجة توجه قتيبة إلى كاشان قبل أن يحسم أمر خوقند، وهناك أتاه جنوده الذين أرسلهم للشاش، ومن الواضح أنه لقى مقاومة عنيفة من الترك، مما جعله يطلب مددا من الحجاج الذى مده بقوات من العراق، وقد نجحت حملات قتيبة فى فتح أقاليم الشاش، وفرغانة فى سنة ٩٥هـ، وفى نفس العام توفى الحجاج، وقد أثر ذلك على قتيبة، وكان الحجاج من عوامل نجاح قتيبة، فى كل فتوحاته فى أقاليم آسيا الوسطى وما وراء النهر.

وكان فتح بخارى وفرغانة عام ٩٥هـ دافعا لجيوش المسلمين للاتجاه نحو تركستان الشرقية على حدود الصين، الذين دخلوا الإسلام طواعية بعد أمرائهم الاويغور.

وأصبحوا جنودا مسلمين ينشرون الإسلام مع إخوانهم العرب، ثم تم فتح باقى المقاطعات والمدن التركستانية، وبتوفيق من الله، وبمرور الزمن وفى عهد السامانيين اعتنق جميع سكان التركستان الشرقية، والغربية وبلاد القوقاز الإسلام.

وفى عهد سليمان بن عبد الملك توطدت دعائم الإسلام فى بلاد الترك، خاصة فى الفترة من عام ٩٦ - ٩٩هـ.

---

(١) المرجع السابق، ص١٥

وكان الروس والسلاف يخضعون لخانية القازان، ويدفعون الجزية لملكوها الذين ضعفوا، ثم تفرقت كلمتهم حتى استولى الروس عليها، وكانت الأحوال الإسلامية فى تلك المناطق تحكم بكل قوة جميع القوميات الأخرى، بما فيهم السلاف والصقالبة والخزر إلى أن تخاذل هؤلاء الحكام بانصرافهم لتحقيق أمورهم الشخصية، وانغماسهم فى ملذاتهم وحياتهم الخاصة مما دفع العدو لشن حملات صليبية، أدت فى النهاية إلى استيلاء الروس على تلك الدول والخانيات.

ولما كانت بلاد ما وراء النهر تقع فى أقصى الحدود الشرقية للدولة الإسلامية، وبعيدة عن مركز الخلافة فى دمشق وبغداد، فقد تعرضت هذه البلاد لكثير من حركات التمرد والعصيان، والفتن، والقلاقل، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى اهتزاز وعدم استقرار الدولة الإسلامية، على حدودها الشرقية، واستمر الأمر كذلك حتى تولى السامانيون حكم هذه الجهات فى القرن الثالث الهجرى، وفى فترة حكم العباسيين بدأت تظهر دول إسلامية شبه مستقلة، مثل: الدولة الطاهرية الغزنوية، والبويهية والسلجوقية.

أما السلاجقة فقد استطاعوا توحيد الجهة الشرقية للدولة الإسلامية،وأعادوا للخليفة العباسى بعضاً من نفوذه الذى فقده على تلك المناطق، ثم تفككت الدولة السلجوقية وورثتها دولة خوارزم شاه إلا أنها لم تستمر طويلا، حتى تعرض القسم الشرقى للدولة الإسلامية لغارات بربرية، قادها جينكيز خان ملك المغول، وأسقطت على آثارها دولة خوارزم عام ٦١٨هـ - ١٢٢١م وعندما قسم جينكيزخان أملاكه بين أبنائه الثلاثة كانت تركستان، وما وراء النهر من نصيب جغتاى، أما خوارزم وصحراء القبجاق، فكانت من نصيب «جوجى»(١).

وإذا كانت منطقة ما وراء النهر قد استقرت أخيرا لهولاكو حفيد جينكيزخان، والذى توجه بجيوشه إلى مركز الخلافة الإسلامية ببغداد، وقضى عليها عام ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م إلا أن الشقاق سرعان ما وقع بين أبنائه، وحكم كل منهم جزءا من الأرض، ففى بلاد ما وراء النهر عرفوا باسم (الجغتائيون)(٢).

وبعضهم الآخر حكموا إيران وعرفوا باسم (الالخانيون) واستمرت الحروب بينهم حتى تمكن تيمورلنك من ضم بلادهم جميعا تحت قيادته فى الدولة التيمورية.

---

(١) و. بارتولد - مرجع سابق، ص١٧٢

(٢) أحمد تونى عبد اللطيف - مرجع سابق، ص٧٦

المبحث الثانى

العلاقات الإقليمية فى آسيا الوسطى وروسيا القيصرية

يلاحظ أن العلاقات الإقليمية بين إمارات ودويلات آسيا الوسطى، كانت دائما فى صراع ونزاع دائم، مما أضعف شوكتهم، بالإضافة إلى ضعف سلطة الخلافة الإسلامية على تلك المناطق، مما جعلها دويلات ضعيفة وفى اشتباك دائم، ولم يكن المسلمون فى تلك المنطقة أمة واحدة يشد بعضهم أزر الآخر، يضاف إلى ذلك انقسام هذه المنطقة الإسلامية إلى خانيات تقوم على النظام القبلى، والعرقى من منظوره الضيق.

وكان نتيجة ذلك قيام خلافات شديدة بين الإمارات التترية، قد أدى إلى انقسام أقوى تلك الدول فى المنطقة فى ذلك الوقت، والتى كانت تعرف بدولة التون أوردا (القبيلة الذهبية)، والتى كانت تحكم منطقة وسط آسيا، وبلاد الروس والبلغار، وبدأ الضعف والانقسام بها سنة ٨٨٢هـ - ١٤٣٨م، والذى أدى إلا وجود عدة خانات هى[١]:

١- خانية القرم (القريم):

ونشأت هذه الخانية عندما انتقل حاجى بن أخ الغو محمد بن قازاق إلى القريم، وأسس خانية القرم، وصار أول خان لها، واستمرت سلالته تحكم حتى عام ١١٩٧هـ - ١٧٨٣م وهو تاريخ استيلاء الروس عليها.

٢- خانية أسترخان:

والتى تولى أمرها، وقام بتأسيسها كوجوس خان سنة ٨٤٢هـ - ١٤٣٨م، وظل يحكم هو وخلفاؤه من بعده حتى استولى عليها الروس، بقيادة إيفان الرهيب عام ٩٩٥هـ - ١٥٥٧م.

٣- خانية قازان:

وقد أسسها قازان خان عام ٨٥٠هـ - ١٤٤٦م، وظل يحكم الخانية هو وأحفاده، حتى استولى عليها الروس بقيادة إيفان الرهيب عام ٩٦٠هـ - ١٥٥٢م.

---

(١) محمد عبده اليمانى - مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز - مصدر سابق، ص٥

المماليك والمغول حتى استطاع تيمور لنك عام (٧٢٦ - ٨٠٧هـ) (١٣٢٦ - ١٤٠٤م) من ضم كل أملاك المغول تحت حكمه، إلا أن تيمور لنك لم يختلف كثيرا عن المغول فبرغم إسلامه، ورغم اتساع حكمه، وخضوع كل الإمارات، والدويلات الإسلامية بآسيا الوسطى لحكمه، إلا أنه لم يبعد نظره عن الشام فحاول الهجوم عليها أكثر من مرة.

حتى دخل دمشق ونودى باسمه فى الخطبة، وعلى المنابر، وحارب السلطان العثمانى بايزيد وهزمه فى أنقرة عام ٨٠٥هـ - ١٤٠٢م[١].

ومن جهة أخرى استطاع الاليخانيون إسقاط دولة سلاجقة الروم فى قونية (عام ٦٩٩هـ - ١٢٩٩م)، ودخلوا آسيا الصغرى (الأناضول)، وأصبحت تحت حكمهم وتحت رايتهم وفرضوا عليها الضرائب هى والإمارات التركمانية.

واستمرارا لصراع السلطة والقوة بين الإمارات الإسلامية نجد أن إمارة آل عثمان فى بلاد الأناضول قد أخذت تتوسع جهة الغرب على حساب أراضى الدولة البيزنطية، التى استنفرت القوى الصليبية الأوربية، وفى تحريض بعض الإمارات التركمانية فى مناوءة النفوذ العثمانى فى الأناضول، وتمثل ذلك فى الحملة التى قادها الأمير قرمان علاء الدين التركمانى ضد العثمانيين فى الأناضول، مما دفع الدولة العثمانية للاتجاه شرقا للدفاع عن نفسها وتأمين حدودها الشرقية، واستطاعت الاستيلاء على معظم الإمارات بهذه المنطقة وأصبحت تحت الراية العثمانية.

وفى سياق الحديث عن الصراع الدائم بين الإمارات والقوى الإسلامية فى آسيا الوسطى فنجد أن تيمور لنك بعد أن استطاع إسقاط الدولة الاليخانية رأى أنه أصبح الوريث الوحيد لمنطقة الأناضول، وقد استغل تيمور لنك هروب حاكم بغداد أحمد جلابر إلى السلطان العثمانى، وجهز جيشا للتوجه صوب الأناضول للاستيلاء عليها، والقضاء على النفوذ العثمانى، وتمت المواجهة بين الطرفين فى أنقرة عام ٨٠٥هـ - ١٤٠٢م، واستطاع تيمور لنك من هزيمة بايزيد العثمانى، واستمرت الصراعات عدة سنوات حتى مات تيمور لنك عام ٨٠٧ - ١٤٠٤م ودبت الصراعات بين أبنائه على الحكم والسلطة فانحسرت جيوشه عن الشام والأناضول، وزادت الخلافات والصراعات بين أبنائه حتى تفتت دولتهم، وعاد حكم آسيا الوسطى والقوقاز لأحفاد جينكيز خان، وحكم الأناضول للعثمانيين

(١) المصدر السابق، ص٧٧

ثم تمكن السلاجقة ثم الخوارزميون من تثبيت أركان الإسلام فى هذه المناطق ودخل الترك فى الإسلام طائعين وراح خانات المغول يدخلون فى الإسلام وقد اتبعهم شعوبهم وقد اسلم خان القبيلة الذهبية (التون أوردا) الذى كان يحكم السلاف والصقالبة ويلزمهم بدفع الجزية، وهو من أحفاد جوجى بن جينكيز خان ويدعى بركة خان وقد قامت مصاهرة بينه وبين سلطان المماليك بمصر الظاهر بيبرس لتقوية العلاقات الإسلامية وفى عام ٦٨٠هـ - ١٢٨٠م، قد أسلم شقيقه أبقا خان وهو من الأسرة الالخانية وسمى نفسه أحمد وأسلم بعده أتباعه كما أسلم قازاق وسمى محموداً، وأسلم بإسلامه معظم تتار الغرب ثم أسلم طرما شيرين خان، وهو خان ما وراء النهر، وتبعه رعاياه ثم أسلم سلطان توغلق تيمور خان وأتباعه وبذلك دخل زعماء وقادة المغول الإسلام ودخل على آثارهم جميع رعاياهم من القبائل المغولية بتلك المناطق وانتشر الإسلام بها طواعية وحبا لله والدين[1].

الصراعات المحلية بين الخانيات والدويلات الإسلامية

يعد الصراع محكا بين قوتين أو أكثر بهدف السيطرة أو التحكم فى الآخر وتبدو مظاهر هذا الصراع بين الإمارات الإسلامية جلية واضحة فى منطقة وسط آسيا الإسلامية والتى أثرت بدورها فى المناخ السياسى العام للعالم الإسلامى رغم توحد مركز الأمة الإسلامية فى بغداد آنذاك، ورغم ذلك كانت هناك العديد من مظاهر العلاقة بين الدول والدويلات الإسلامية.

ولقد كانت علاقة مغول الشمال فى قبجاق من أسرة "التون أوردا" القبيلة الذهبية تتسم بالود والاحترام، لمركز الخلافة الإسلامية العباسية بمصر حتى تزوج الظاهر بيبرس سلطان المماليك بمصر ابنة بركة خان، وتحالف الأخير مع المماليك ضد المغول الغرب الذين كانوا على عهدهم بالكفر ولم يدخلوا الإسلام بعد، واستعان كذلك المماليك بمغول الشمال ضد الإمارات الصليبية، التى كانت مستقرة عند سواحل الشام، وقد كانت العلاقة بين دولة المماليك بمصر ومغول الغرب (الاليخانيين) على غير ما يرام، ويشوبها العداء الدائم نظرا لاهتمام ورغبة المغول فى الهجوم على بلاد الشام وتعاونهم مع الإمارات الصليبية هناك،، ورغم اعتناق الاليخانيين الإسلام بعد ذلك إلا أنهم استمروا فى محاولاتهم، ورغبتهم فى الاستيلاء على الشام بدعوة قيادة العالم الإسلامى، واستمر الحال كذلك بين

(١) المرجع السابق، ص٧٧

العثمانية، وتم تقسيم ممتلكاتها بين أعدائها وتم النظر صوب المشرق الإسلامى فى آسيا الوسطى، الذى لم يكن أسعد حظا من باقى الدول والأراضى الإسلامية، حتى وقعت كلها تحت الاحتلال الأجنبى(١).

علاقة الدويلات الإسلامية مع روسيا القيصرية:

شهدت منطقة وسط آسيا الوسطى فى فترة جينكيزخان صراعات مختلفة ففى الوقت الذى كانت تسير فيه دولة (التون أردوا) القبلية الذهبية نحو الانهيار فى آسيا الوسطى تلك القبيلة التى كانت تحكم الصقالبة، والسلاف والقياصرة، وكانوا يدفعون الجزية السنوية لملك التون أردوا، كان على الجانب الأخر فى روسيا القيصرية يوجد أمير يدعى إيفان الكبير أمير موسكو، والذى حاول بسط نفوذه على المناطق المحيطة به، (٨٦٦هـ - ٩١١م / ١٤٦٢ - ١٥٠٥م)، وبالفعل تمكن من بسط نفوذه جنوبا، وشرقا على أثر انهيار القبيلة الذهبية.

وفى عام ١٤٨٠م رفض هذا الأمير دفع الجزية السنوية لخان قازاق، ثم تمكن بعد ذلك من ضم كل الإمارات التى كانت تحيط بموسكو، وقد تحقق له ما أراد من ضعف قطبى الدولة الإسلامية ثم ابتلاع خانيات وسط آسيا الواحدة تلو الأخرى(٢).

نبذة عن القبيلة الذهبية:

بعد موت جينكيز خان قسمت البلاد بين أبنائه، فكانت جهة الغرب من نصيب الابن الأكبر جوجى جد بركة خان حاكم القبيلة الذهبية المعروفة باسم التون أوردا، وكانت تشمل القبجاق، وبلغار، والفولجا، ثم خلفه أبناؤه وأحفاده حتى أصبحت أملاكهم ومناطق نفوذهم تضم المناطق المشار إليها، إضافة إلى كل الإمارات الروسية وجنوب قافقاسيا، وغرب بحر قزوين (الخزر)، وكان من أبناء جوجى أوردا - باطى - شيبان مؤسس دولة الأوزبك فى تركستان، وكان باطى يحكم الفولجا والبلغار، وابنه بركة خان كان يحكم مناطق آسيا الوسطى بما فيها السلاف، وهو مؤسس القبيلة الذهبية التى كانت تأخذ الجزية السنوية من حكام السلاف الواقع فى القسم الغربى من ممتلكات جوجى، وأصبحت فى حكم ابنه باطى الذى كان له الفضل فى ارتفاع مستوى المدنية، والحضارة بين مناطق حكمه

---

(١) المرجع السابق، ص٨٨

(٢) حسن أحمد محمود .. مرجع سابق .. ص١٢٥

الذين واصلوا فتوحاتهم والتى كللوها بفتح الكنيسة الشرقية فى القسطنطينية عام (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م) [١].

ثم بدأت دولة المماليك بمصر تعانى من الضعف، حتى سقطت بعد معركة مرج دابق فى يد الدولة العثمانية عام (٩٢٣هـ - ١٥١٧م)، وهكذا نجد أن الخريطة السياسية للدولة الإسلامية، تختلف من وقت لآخر باختلاف القوة، والنفوذ.

ولذلك لم تستقر الخريطة الإسلامية على شكل ثابت لمدة طويلة، وبعد الأحداث السابق سردها نجد أن هناك عدة تغيرات حدثت فى منطقة الشرق الإسلامى، وبحلول القرن العاشر الهجرى والسادس عشر الميلادى نجد أن السلطان إسماعيل الصفوى قد أسس فى فارس الدولة الصفوية التى تدين بالمذهب الشيعى مدعيا أنها حامية للإسلام، وكان هدفه الحقيقى هو أن يفصل منطقة الأناضول عن آسيا الوسطى، وبذلك يكون قد قطع الطريق أمام العثمانيين من الدخول إلى مماليك آسيا الوسطى، ذلك الطريق الذى سبق وأن اجتازه السلاجقة ثم تيمور لنك إلى أنقرة.

وأصبحت الصراعات بين الدولة العثمانية ممثلة للمذهب السنى، والدولة الصفوية ممثلة للمذهب الشيعى، قائمة والحروب مستمرة، ونظرا لرغبة الدولة الصفوية فى نشر مذهبها الشيعى فى آسيا الوسطى، فكانت تخوض معارك عنيفة مع تلك الخانيات التى كانت مرتبطة بالدولة العثمانية عن طريق السلاجقة التيموريين فيما سبق.

وأصبح الصراع منحصرًا بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية فى الشرق، واستمرت الحروب سنوات وسنوات، تمزقت خلالها الدولة الإسلامية وضعفت أمام أعدائها نتيجة هذه الحروب والصراعات داخل الكيان الإسلامى، وأصبحت هذه الدول مطمعا لأعدائها أعداء الإسلام، بعد أن كانت تشكل إمبراطورية إسلامية عظيمة لسحق من يقف أمامها أو ضدها.

وهكذا خلق الصراع الإقليمى مرضا أصبح ينخر فى جسد الأمة الإسلامية، فقد كانت الإمبراطورية العثمانية تحكم العالم الإسلامى شرقه وغربه، ولكن وبدلا من الحفاظ على وحدة الأرض وسلامة وأمن الدولة الإسلامية، أخذت الصراعات الإقليمية البغيضة تضعف من قوة الإسلام، والمسلمين حتى انهارت الإمبراطورية

---

(١) و. بارتولد - مرجع سابق، ص٢٤٠

أولا: قسم خضع للنفوذ العثمانى، وهى ممالك القرم قافقاسيا، وغرب القوقاز.

ثانيا: قسم لا يخضع للنفوذ العثمانى سياسيا، ولكن يخضع له دينيا، وهى بخارى - خوارزم - طشقند - شرق القوقاز.

وفى سياق هذه الدراسة نجد أن القرن ١٣هـ - ١٩م قد تعرض فيه العالم الإسلامى، ممثلا فى الإمبراطورية العثمانية التى كانت تمثل الخلافة الإسلامية على كل الأقطار، والبلدان المسلمة شرقا، وغربا إلى تغيرات كبيرة وهائلة إذ خاضت الدولة العثمانية صراعات مع روسيا، وأوروبا، وإيران، وكان نتيجة حتمية لهذه الصراعات أن تضعف الدولة العثمانية، ويستولى الروس على القرم وقافقاسيا حتى بحر قزوين، وبضعف الدولة الإسلامية تم تفككها، وخضوعها لسيطرة النفوذ الأجنبى، وقد كانت خانية القرم، وقازان، اصطرخان هى نتاج تفكك القبيلة الذهبية إلا أن ظهور الدولة العثمانية كمركز للخلافة الإسلامية وخضوع الخانيات للحكم الإسلامى كان من الممكن حينئذ خلق تكتل إسلامى موحد للوقوف أمام أعدائهم، وحماية لدينهم، وأراضيهم من أى معتد أثيم.

إلا أن الصراعات، والمنازعات التى نشأت بين هؤلاء الحكام وبين الدولة العثمانية بين مؤيد لها، ومعارض مثل خان القرم الذى خرج عن سيطرة الدولة العثمانية وموقف روسيا من تلك الصراعات، حتى سنحت لها الفرصة المناسبة للانقضاض على تلك الخانات والاستيلاء عليها الواحدة تلو الأخرى، وكانت آخرها خانية اصطرخان.

ومن ذلك يتضح أن مرحلة الفتح الإسلامى كان الصراع فيها ينحصر بين الفتوحات العربية، والإمارات التركية فى آسيا الوسطى وما وراء النهر.

ولكن المرحلة التى كانت تعرف بالعصر المغولى، كانت وبحق أخطر فترة على العالم الإسلامى، إذ أصبح التهديد قريبا من تخوم العالم الإسلامى، فى القرن السابع الميلادى والذى امتد إلى القرن التاسع.

فالمغول وهم قوم وثنيون، قد جاءوا من خارج ديار الإسلام، واجتاحوا آسيا الوسطى والقوقاز، وإيران وروسيا وشرق أوروبا، إلا أنهم وبعد حوالى نصف قرن من بداية زحفهم عام (١٢١٩م) من أقصى شرق آسيا وتوقف زحفهم عند قلب الدولة الإسلامية واستقروا وأسلموا وامتزجوا بأهل هذه المناطق مما كان له الأثر على حضارتهم ومدنيتهم، ومن ناحية أخرى كان له الأثر على ميزان القوى فى المنطقة، والعلاقات بين الكيانات السياسية وهى الفترة التى خضع فيها الروس

وفى ذلك العهد توطن المغول بلاد البلغار والفولجا بعد هزيمة أهل تلك البلاد ثم اكتفوا بأخذ الجزية السنوية.

ومن السمات الحضارية لحكام القبيلة الذهبية، أنهم كانوا يسكون العملة فى الفولجا باسم خانات المغول.

وفى عهد باطى كانت الحياة المدنية مزدهرة إلى حد كبير، فأنشئت المدن الجديدة على المجرى الأدنى للفولجا، ومنها مدينة سراى.

وهذه الكلمة فارسية تعنى «مقام الخان» وكانت المدن فى جنوب روسيا فى العهد المغولى توصف بكلمة "يكى" أى الجديد.

وقد تطورت الحياة الإجتماعية فى عهد بركة بن باطى بن جوجى بن جينكيز خان، وكان على العكس منها فى الأقاليم الشرقية التى حكمها خلفاء جينكيز خان الآخرون.

وكان فى عهد بركة تسك العملة باستخدام اللغة التركية، وكانت الحياة السياسية فى القبيلة الذهبية تسير بنظام، واستقرار، فكان باطى وبركة يديران هذه المملكة إدارة مشتركة هادئة وناجحة(١).

ومع أن الصراعات الإقليمية قد دبت بين خلفاء جينكيزخان، وأصبحت الحروب الدائمة هى سنة الحياة بين قبائل المغول المختلفة، إلا أن النفوذ الأقوى كان للقبيلة الذهبية والتى استقلت عن إمبراطورية المغول عام (١٢٥٧ - ١٢٧٧م) بعد أن كانت أحد أركان إمبراطورية المغول.

وكان كل الخانات المنتمين إلى أسرة جوجى ومن بينهم أبناء أوردا وشيبان تابعين نظريا لخان القبيلة الذهبية، وكانت اللغة الاويغورية التركية هى اللغة السائدة فى مناطق حكم القبيلة الذهبية(٢).

وبالنسبة لدخول القبيلة الذهبية فى الإسلام، فيرجع الفضل لتأثير أتراك خوارزم الذين كان لهم الأثر الأكبر فى انتشار الإسلام فى هذه القبيلة، وكانت علاقاتهم طيبة بالممالك الإسلامية فى مصر وغيرها، والدليل على ذلك هو زواج الظاهر بيبرس حاكم مصر من ابنة بركة خان حاكم القبيلة الذهبية.

وأصبحت خريطة الواقع الإسلامى توضح من حيث القوة، والنفوذ، تقسيم مناطق، وممالك آسيا الوسطى، والمناطق المحيطة، بها تقسيما سياسيا كالآتى:

---

(١) و. بارتولد - مرجع سابق - ص١٨٦

(٢) المرجع السابق، ص١٩٤

فى الوقت المسمى بحركة الكشوف الجغرافية، والتى كانت تقودها أوروبا لتغيير طريق التجارة الدولية، التى كانت تسيطر عليه دولة المماليك، واستبداله بطريق آخر.

ثانيا: كما أن من الآثار الواضحة التى نتجت عن هزيمة أنقرة، هو ضعف الدولة العثمانية فترة من الزمان، أوقفت فيها الفتوحات الإسلامية فى أوروبا، ولم تستطع المحافظة الكاملة على أملاكها الخارجية فترة من الزمن قاربت النصف قرن.

ثالثا: وجدير بالذكر أن موقف الدولة التيمورية من روسيا كان موقف عداء حيث إنها كانت ضمن مملكة القبيلة الذهبية، وقد حكم المسلمون المغول الإمارات المسيحية الروسية فى المساحة الممتدة من بحر البلطيق إلى البحر الأسود ومن شبه جزيرة القرم وعلى حدود حوض الفولجا.

ثم شهدت بداية القرن الرابع عشر الميلادى صحوة الإمارة الروسية، التى كانت تدفع الجزية للقبيلة الذهبية، وقد تزامنت هذه الصحوة مع بداية تفكك القبيلة الذهبية، وقد استغل الروس هذا الموقف وأصبحوا يجيدون لعبة التحالفات، فانضموا إلى إمارة إسلامية ضد أخرى، وهكذا حتى استطاعت القضاء، والاستيلاء على الإمارات الثلاث، وأعلنت عن التبديل الجذرى فى الأدوار المهيمنة على المنطقة فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى، وأصبحت لها السيادة على خانيات المغول الإسلامية.

هذا وقد كان للفارق الحضارى بين المسلمين والروس تأثير نفسى عند الروس الذين كانوا يعيشون فى حالة من التخلف الثقافى، والسياسى فى الوقت الذى كان التفوق كبيرا فى تلك الخانيات الإسلامية المغولية، والتى كان الروس يطلقون على أهلها التتار وبات هذا الأمر يترك فى نفس الروس عقدة نقص أمام المسلمين، وهذا السبب من الأسباب الجوهرية التى يرجع إليها كره الروس للمسلمين.

ومن هذا المنطلق بدأ الروس فى تحرير إمارة موسكو من حكم التتار المسلمين فى عام ١٤٨٠م ثم ما تبع ذلك من التوسعات التى قام بها إيفان الرهيب حفيد إيفان الثالث، وقد سعى إلى فكرة الترابط العضوى بين الدين والدولة أى بين المسيحية الارثوذكسية، وبين القومية الروسية، ولذا سعى فى توسيع مجال المسيحية الروسية لتكون قوة ضد الإسلام المغولى أو التترى.

وعلى ذلك فقد استولى على خانية قازان ١٥٥٢م، وخانية اصطرخان ١٥٥٧م، ولم يبقى أمامه إلا خانية القرم، وقد شن إيفان الرهيب حرب إبادة ضد التتار

لحكم التتار (المغول)، والذى استمر قرابة القرنين من الزمان، ويجدر بنا الإشارة إلى أن هذه التأثيرات انحصرت فى مرحلتين:

المرحلة الأولى:

وهى خلال القرن السابع الميلادى، فبعد الهجمة الأولى للمغول[1] بنصف قرن انقسمت الإمبراطورية المغولية العظمى، والتى كونها جينكيز خان إلى أربع ممالك هى:

١- مملكة الاليخانيون وهم مغول إيران.

٢- مملكة التون أوردا (القبيلة الذهبية)، وكانت تقطن الشمال وتركزت فى حوض الفولجا جنوب روسيا.

٣- مملكة جغتاى: وهم مغول آسيا الوسطى.

٤- مملكة مغول الصين: وهم مغول الصين.

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن الممالك المغولية الثلاث الأولى كانت معادية بعضها البعض وفى صراع ونزاع دائم.

المرحلة الثانية:

فكانت مبعثها آسيا الوسطى، وكانت تأثيراتها واضحة بعد اجتياح تيمور لنك لبلاد العالم الإسلامى، وتوحيد القبائل المغولية تحت راية واحدة، وبعد إتمام السيطرة على آسيا الوسطى، وتوحيد إمارتها (٧٨٢ - ٧٨٨هـ) وبعد القضاء على الدولة الاليخانية فى فارس ١٣٨٥ - ١٣٨٦م)، وسقوط بغداد (٧٩٥ - ١٣٩٣م)، وبعد هزيمة القبيلة الذهبية سنة ١٣٨٠، وبذلك لم يبق أمامه فى العالم الإسلامى إلا الدولة العثمانية، والمماليك فوجه ضربته للمماليك فى الشام ثم توجه لآسيا الصغرى، ووجه ضربته القاسمة إلى بايزيد السلطان العثمانى، وهزمه فى معركة أنقرة (٨٠٢هـ - ١٤٠٢م)[2].

وكان لتلك الحروب العثمانية التيمورية أثار سلبية على العالم الإسلامى انحصرت فى عدة محاور هى:

أولا: كانت سببا مباشرا فى ضعف دولة المماليك اقتصاديا، وبالتالى سياسيا

---

(١) و. بارتولد مصدر سابق، ص١٨٣

(٢) المرجع السابق، ص١٨٥

الهوية الإسلامية حتى بعد حكم الشيوعية البلشفية التى كانت أحط وأقذر من القيصرية فى أساليب معاملاتها، مع المسلمين واعتبارهم كرعايا من الدرجة الثانية، ولكن الشعب التركستانى الأمين حافظ بكل قوة على هويته الإسلامية وتراثه وأمجاده رغم كل هذه الصعوبات والتحديات.

ومن ثم يمكن القول إن الصراعات بين الخانيات والدول الإسلامية قد أدى إلى ضعف شوكتها أمام أعدائها بعد أن كانت لها السيطرة الكلية على منطقة وسط آسيا وسكانها بما فيهم الروس، ذلك جاء نتيجة الصراعات القبيلة وانخراط الحكام المسلمين فى أمورهم الشخصية حتى انقسموا على أنفسهم وأصبح مسيطرا عليهم من قبل القياصرة الروس.

المسلمين، ووضعهم فى موضع اختيار صعب إما الهجرة وترك الأرض، وإما التنصير وترك الدين الإسلامى.

واستمر الوضع فى روسيا القيصرية على هذه الشاكلة بالنسبة للرعايا المسلمين، إذ أصبح المسلمون فى روسيا رعايا من الدرجة الثانية، ولذا ظهرت مشاكل القوميات فى روسيا القيصرية(١).

وقد تزامن سقوط الأندلس مع سقوط غرناطة، مع بداية استقلال إمارة موسكو وكان ذلك مؤشرا خطيرا لبداية الزحف الصليبى المسيحى ضد ديار الإسلام، وتم ذلك الزحف الصليبى أمام الحكم العثمانى العاجز عن التحرك، والمراقبة الأوروبية التى تحالفت مع الدول الصفوية.

وبذلك نجد أن توازنات القوى الإسلامية قد عجزت أمام القوى المسيحية، وبمعنى آخر أن توازنات القوى الإسلامية العثمانية تصارعت مع القوى الإسلامية الصفوية فى الوقت الذى تحالفت فيه القوى المسيحية الروسية مع القوى المسيحية الأوربية.

ولذلك فقد انتهت هذه الصراعات فى غير صالح المسلمين لأن التوازنات كانت فى صالح القوى المسيحية الروسية، والأوربية، فى حين بدأ الروس فى تنفيذ خطة أطماعهم فى آسيا، فبدأت بالاستيلاء على إمارات آسيا الوسطى ثم أظهرت أطماعها فى بلاد إيران الصفوية، فى حين كانت القوى المسيحية الأوربية تستولى على ممتلكات الدولة العثمانية الإسلامية فى المشرق العربى الإسلامى(٢).

ولكن وبعد سقوط وسط آسيا وما وراء النهر تحت الحكم القيصرى ابتداء من عام ١٥٥٢م وما تعرض له المسلمون من محاولات إضعاف لهويتهم الإسلامية، نستطيع القول بأن تلك الشعوب استطاعت الحفاظ على هويتها الإسلامية خلال فترة الحكم القيصرى البغيض.

وتمثل ذلك فى المقاومة الشعبية المستمرة ضد هذا المحتل الكافر مع الحفاظ على الهوية الفكرية الإسلامية، من خلال الكتب والمطبوعات التركية التى كانت تدخل بلاد التركستان فى ذلك الوقت، واستمر هذا النمط من الحفاظ على

---

(١) نادية مصطفى - ندوة الوطن العربى وكومنولث الدول المستقلة - القاهرة - جامعة الدول العربية سنة ١٩٩٤ صفحة ٤٥

(٢) المرجع السابق، صفحة ٤٧

الفصل الثانى

الحياة الاجتماعية الفكرية والدينية لمسلمى آسيا الوسطى

المبحث الأول

دور علماء تركستان فى إثراء التراث الإسلامى والإنسانى

فى مسيرة الحضارات تبدو أهمية العقائد الدينية وتأثيرها على الفرد وباستعراض تاريخ تركستان ومجدها، يجدر بنا الإشارة إلى مقومات تلك الحضارة، والرقى والازدهار التى منحها الله سبحانه وتعالى لتلك البلاد، المترامية الأطراف التى قال عنها الجغرافيون العرب، أنها جنة الله على الأرض.

وكانت بلاد تركستان تمثل فى الماضى ممرا تجاريا مهمًا، يربط الغرب بالشرق، ويعرف هذا الممر بطريق الحرير الذى يمر إلى حدود الصين.

ونتيجة لهذا وذلك ولدخولها الإسلام، فقد ظهر من العلماء ما دان له العالم بالفضل فى العلم، ومنهم من غيَّر وجه التاريخ فى علوم الرياضة، والطب، والهندسة، والفلك، وغيرها، كما تضم أقاليمها العديد من المدن ذات التاريخ العريق والمؤثر فى نفوس المسلمين، مثل مدن بخارى - سمرقند - طشقند - مرو وغيرها، والتى كانت تمثل مراكز إشعاع حضارى فى مختلف المجالات ساهمت فى إثراء الحضارة الإسلامية بصفة خاصة، والحضارة الإنسانية بصفة عامة، ومن أبطال وعظماء هذه الحضارة علماء تركستان الذين يمثلون أكثر من ٤٥٪ من إجمالى علماء الإسلام بالإضافة لنبوغهم فى العلوم العلمية من طب وهندسة وفلك، وغيرها وقد نبغوا كذلك فى علوم القرآن والحديث والفقه وغيرها من العلوم الأدبية(١).

ومن هذا المنطلق يتبين أن وجود هذا الزخم من العلماء الأفذاذ فى مختلف نواحى الحياة فى أقاليم تركستان تدل دلالة قاطعة غير قابلة للشك أو المناقشة، أن البلاد التى أنجبت مثل هؤلاء العلماء بالقطع وبكل تأكيد هى بلاد نالت حظها من التقدم والرقى، فاقت بها على غيرها.

إن وجود مثل هذا الكم والكيف من العلماء قد أثرى الحياة الفكرية والعلمية

---

(١) إسلام كريموف - المرجع السابق - ص١٦١

الفصل الثانى

الحياة الاجتماعية والفكرية والدينية لمسلمى آسيا الوسطى

مقدمة الفصل

المبحث الأول: دور علماء تركستان فى إثراء التراث الإسلامى والإنسانى.

المبحث الثانى: الحضارة الإسلامية وتأثيرها فى شعوب آسيا الوسطى وروسيا القيصرية

واعتنق الترك أكثر من دين على مر العصور، فعرفوا الديانات الشامانية، والبوذية والمسيحية، النستورية، والمانوية والزرداشتية ثم دخلوا الإسلام فى القرن الثالث الهجرى أفواجا طواعية وأصبحوا من المتمسكين بتعاليم الدين، ويحترمون رجال الدين ويوقرونهم، وظهروا فى تاريخ الحكم الإسلامى حين استقدمهم الخليفة المعتصم، من تركستان ليعضد بهم دولته، ثم كونوا دولا كان لها التأثير المباشر فى حركة التاريخ منهم الدولة الطاهرية، والغزنوية، السلجوقية، والعثمانية.

وكان لكل دولة من تلك الدول نفوذ وفتوحات أثرت الحياة الاجتماعية والفكرية للعالم الإسلامى، وعندما كثرت الخلافات والنزاعات الإقليمية والمحلية، ضعفت كثيراً ثم تعرضت تلك الدول للانهيار بعد أن كانت تمثل قوة عظمى فى وقتها، ومع كل ذلك فقد أفرزت تلك البلاد علماء أفذاذا فى مختلف مجالات الحياة، سنعرض لهم فيما سيأتى بشىء من التفصيل لعل الباحث يقدم طرحا وافيا عن اسماء هؤلاء العلماء وتخصصاتهم وإسهاماتهم فى المجالات الفكرية والعلمية والأدبية(١).

وباستقراء تأثير البقاع على ساكنيها، يجدر الإشارة إلى أن دخول الإسلام لتلك المناطق، عمل على صقل الفكر والعقل التركستانى دفعت به إلى أن يخرج من بين أحشائه العلماء الأفذاذ فى العديد من المجالات المختلفة، وإن ما تركه المسلمون الفاتحون فى بلاد ما وراء النهر، لا ينحصر فى نشر العلم والثقافة بل التهذيب والأخلاق فى المعاملات، وقد تأثروا بالأدب والثقافة والحضارة الفارسية قبل دخول الإسلام، وأصبحت اللغة العربية هى القاسم المشترك بينهم، بجانب لغاتهم القومية، وأضحت الحضارة العربية الإسلامية هى المصدر الأول للتشريع والمعاملات الاجتماعية، حتى أنهم أنشأوا العديد من المدارس والمراكز العلمية والحديثة.

ولا ينكر أى منصف أن لعلماء تركستان إسهامات كثيرة فى التراث الإسلامى تدل على ازدهار الحياة الفكرية والاجتماعية لأقاليم تركستان.

ومن الملفت للانتباه أن انتشار الإسلام فى بخارى وبلاد ما وراء النهر قد لقى فى حملته الأولى مقاومة عنيفة وصعوبة بالغة، إلا إنه بعد ذلك أقبل أهل تلك البلاد على دخول الإسلام طواعية وعن وعى وفهم كاملين، دون إلزام أو إكراه فأخذت

---

(١) المرجع السابق، ص١٧

فى مختلف المجالات، ولكن طبقا لأحكام القاعدة القائلة إن «للبقاع تأثير على الطباع والإنسان ابن بيئته»[١].

فإنه لابد وأن نعود عودا سريعا وموجزا لبيان مدى تأثير البقاع على هؤلاء العلماء، فكان لابد لنا بالحديث عن بيئاتهم ومدنياتهم لنضعهم فى موضعهم الصحيح حيث إن بيئتهم هى منطقة تركستان، وتلك المناطق تنتمى للقبائل التركية. ويمكن تقسيم الترك خلال القرن السادس الميلادى إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: الكوك ترك.

القسم الثانى: الاويغور.

أما بالنسبة للقسم الأول وهم الكوك ترك:

وهم قوم كان لهم مملكة واسعة الأرجاء، فى القرن السادس الميلادى فى منغوليا، وتركستان، وهم شرقيون وغربيون، وقد خضع الشرقيون للاحتلال الصينى فترة من الزمان ثم استعادوا استقلالهم وكان لهم تجارة مثل تجارة الحرير، والورق، مع الصين، ومع بلدان آسيا وبيزنطة وفارس، وقد ذكرهم المؤرخون بأنهم كانوا أصحاب حضارة وعمران، ولم يكونوا جميعا من البدو الرحل، وتاريخ الصين فى القرنين السابع والثامن لا يخلو من أخبار الحروب بين الصين والترك، ولملوك الترك لغة خاصة بهم تم العثور عليها فى كتابات أرخون[٢]. وبعد تفكك مملكتهم وضعفها قد استولى عليها الصينيون مرة أخرى.

وبالنسبة للقسم الثانى الايغور:

هم قوم سكنوا شرق التركستان وحوض نهر تاريم ومنهم قبائل القارلوق والقرغيز، وهم يختلفون عن الكوك ترك فى اللهجة والكتابة، وأنهم أهل حضر، وعرف عنهم رقى الحضارة والعمران، وارتفاع البنيان، وبرعوا فى الكتابة، وتزيينها، وألوانها، وبلغوا أوج حضارتهم فى القرن الثامن الميلادى، وتم الاستيلاء على دولتهم بحملات جينكيز خان فى القرن الثالث عشر الميلادى، وبرعوا فى الخط وعرفت لغتهم باللغة الجغتائية نسبة إلى جغتاى الابن الثالث لجينكيز خان[٣].

---

(١) مقدمة ابن خلدون.

(٢) آثار أرخون التى عثر عليها عند شاطئ نهر أرخون بمنغوليا تحكى تاريخ الكوك ترك.

(٣) حسين مجيب المصرى - تاريخ الأدب التركى - القاهرة - دار الثقافة للنشر سنة ١٩٩٩، ص١٤

رواد الفكر الإسلامى:

ويقصد هنا برواد الفكر الإسلامى، هؤلاء الذين كان لهم الريادة فى بناء مدارس فكرية أثرت فى العقل الإنسانى بأفكارهم، تلك الأفكار التى استمدت مقوماتها من الشريعة الإسلامية، وسيتم تصنيف هؤلاء العلماء كل حسب تخصصه:

١- كبار الصوفية:

إبراهيم البدخشى النقشبندى (ت ١١٦٠هـ) له مثنوى من ٦٠٠ بيت وشرح كلمات شاه نعمة الله ولى وأبو زيد البلخى (ت ٣٢٢هـ)، له مؤلفات عديدة فى التصوف وعلم الكلام والتفسير والفلسفة، وأبو سعيد بن أبى الخير فضل الله الميهى (ت ٤٤٠هـ) الذى قامت بترجمة كتاب حفيدة محمد بن منور)أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد) المرحومة الأستاذة الدكتورة إسعاد عبد الهادى قنديل، وعبد الله الأنصارى (ت ٤٨١هـ) له ترجمة طبقات الصوفية للسلمى.. وكتب أخرى، وعبد الخالق الجغدوانى (ت ٦١٨هـ) مربى ومرشد الشيخ بهاء الدين النقشبندى البخارى مؤسس الطريقة النقشبندية)ت ٧٩١هـ) وعزيز النسفى (ت ٦١٨هـ) له منازل السائرين والقصد الأقصى.. وكتب أخرى، وعلى رامتينى البخارى (خواجة عزيزان (ت ٣٣٢هـ) وعلاء الدين السمنانى (ت٧٣٦هـ) من كبار الصوفية وله آثار ما يقرب من ثلاثمائة مؤلف وأحمد بن إبراهيم اليسوى (القرن ٤هـ) له ديوان حكمت وآخرون كثيرون.

٢- من المفسرين العظام:

أبو الليث السمرقندى (ت ٣٧٣هـ) له تفسيره باللغة العربية وكتب أخرى فى الفقة وعلم الكلام، والعلامة جار الله أبو القاسم الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ) له تفسيره الكشاف وكتب أخرى كثيرة، والشيخ شهاب الدين (ت ٧٨٠هـ) له عيون التفاسير كما له فى التصوف رسالة النجاة، والشيخ على السمرقندى (ت ٩٢٨هـ) له بحر العلوم فى التفسير والواعظ الكاشفى الهروى السيزوارى (ت ٩١٠هـ) له تفسيره الفارسى (المواهب العلية) المعروف بتفسير الحسينى، وأبو منصور محمد الماتريدى[1] له تفسير الماتريدى وكتب أخرى فى الفقه، والحافظ أبو البركات عبد الله النسفى.

---

(٢) احمد فؤاد متولى - الكتاب التذكارى لندوة العلامة أبى النصر مبشر الطرازى - القاهرة - مؤسسة الرياض للطباعة - سنة١٩٨٧ ص٣٢٤

قبائل الترك تدخل الإسلام أفواجا وأفواجا واصبحوا من أعظم المجاهدين فى صفوف الإسلام ومن زمرة الفاتحين المخلصين.

ثم توطدت دعائم الإسلام فى وسط آسيا، وازدهرت فى عهد أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى وبدأت العلاقات تتوطد بين شعوب تركستان وبين مركز الخلافة والحكم الإسلامى فى بغداد، فى عهد عبد الملك بن مروان وابنه سليمان بن عبد الملك[1].

وهكذا ارتبطت آسيا الوسطى كلها (تركستان - أفغانستان - إيران) بالقيادة الإسلامية ومن المسلم به فى دراسة الحضارات الإنسانية أنها تبرز أهمية الدور الذى تلعبه المدن كمركز حضارى، وثقافى له رمزيته فى إدارة الحكم، ومن هنا نجد أن الحضارة الإسلامية قد بلغت ذروتها فى كثير من المدن التركستانية مثل: بخارى / طشقند / سمرقند / خيوة / مرو، فأنشيءت معاهد علمية ومدارس للتعليم فى كل مدينة وكل حى، وانتشرت اللغة العربية انتشارا واسعا فى كل البلدان، حتى أصبحت وهى اللغة السائدة فى التعامل وكانت المدارس فى عواصم ومدن تركستان، مثل بخارى، وسمرقند، ومرو، وغيرها قد بلغت درجة عالية من الرقى، حتى أصبحت تضاهى المدارس والمراكز العلمية فى الأمصار الأخرى، ولاسيما فى عاصمة الخلافة الإسلامية فى بغداد، وهكذا أفرزت تلك المدارس وهذه المعاهد والمراكز الحضارية العديد من العلماء العظام فى المجالات المختلفة[2].

وقد ذكر بعض المؤرخين المتخصصين فى التراث الإسلامى، أن إسهامات علماء الأتراك فى التراث الإسلامى يصل بها إلى أكثر من ثلث مؤلفات المسلمين من سائر الشعوب الإسلامية وهى نسبة مرتفعة جدا بلاشك، خاصة وإن كانت تلك المؤلفات من الجودة بحيث إنها أصبحت من أهم المراجع الإسلامية فى المجالات المختلفة، خاصة إذا ما عرفنا أن بعض الأسماء ذات التأثير النفسى والعلمى والاجتماعى على معظم المسلمين من أهل تركستان، فمنهم الإمام أحمد بن حنبل[3]، والطبرى، ومسلم والترمذى، والفارابى، وابن سينا، والبيرونى، والزمخشرى، وغيرهم الكثير والكثير الذى لا يستطيع مجال البحث لذكرهم جميعا بل سنكتفى بذكر بعضهم منسوبين إلى مجالات تخصصاتهم[4].

---

(١) نصر الله الطرازى - مرجع سابق، ص٢٣٨

(٢) المرجع السابق، ص٢٣٩

(٣) الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ولد فى بغداد أما والده فهو من أهالى مرو بخوارزم.

(٤) المرجع السابق، ص٢٣٩

الحريرى وكتب أخرى ورشيد الدين محمد وطواط البلخى (ت ٥٨٧هـ) له آثار عربية وفارسية أهمها حدائق السحر فى دقائق الشعر (فارسى) وعديد من رسائل عربية.

٦- كبار الفلاسفة والأطباء[١]:

أمثال: أبو الحسين بن عبد الله بن الحسين بن على بن سينا، الشيخ الرئيس (ت ٤٢٨هـ) ولد بأفشنة بالقرب من بخارى ومجموع آثاره فى حدود ٢٠٢ إلى ٢٤٠ كتابا ورسالة، له كتاب القانون، وكتاب الشفاء وكتاب الإشارات وكتاب الأرصاد وكتب أخرى كثيرة كما له أشعار بالعربية والفارسية، وأبو بكر زين الدين بن إسماعيل الوراق الأزرقى المعروف بالحكيم (ت فى حدود ٤٦٥هـ) شاعر وفيلسوف وطبيب له فى الحكمة سندباد، وفى الطب الألفية والشلفية، وأبو زيد البلخى من مشاهير الحكماء والأطباء، له الحد الأقصى والإنابة من علل الدنيا، وبيان وجوه الحكمة، وأبو العباس أحمد الطيب السرخسى (ت ٢٨٣هـ) له فى حدود خمسين أثرا، أشهر أثاره نزهة النفوس، والمدخل إلى صناعة النجوم وكتاب النفس وكتاب المدخل إلى صناعة الطب، وبدر الدين السمرقندى له كتاب الاقربازين وأبو نصر محمد بن محمد أوزلغ بن طرحان الفارابى أكبر فلاسفة المسلمين (ت ٣٣٩هـ) اشتهر بشروحه على مؤلفات أرسطو ولقب بالمعلم الثانى وله العديد من الكتب فى الفلسفة كما له من الكتب الخاصة به أمثال كتاب الإلهيات والرياضيين وله الروضة فى الأنساب ورسائل فى الطب والهيئة.

٧- علماء الهيئة والفلك[٢]:

أمثال: أبو ريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى (ت ٤٤٠هـ) من أعلام الرياضيات وله الفضل فى انتشار المدنية الإسلامية بالهند ذلك لمرافقته السلطان محمود الغزنوبى كان عالما موسوعيا يقال إن له حوالى ١١٣ أثر وأهم أثاره الآثار الباقية عن القرون الخالية ومقاليد الهند وقانون الإرشاد فى أحكام النجوم والتفهيم لأوائل صناعة التنجيم.

وأولغ بيك (ت ٨٦٢هـ) من أمراء ما وراء النهر ومن علماء النجوم أنشأ مرصدا بسمرقند له زيج مسمى بزيج أولغ بيك تمت ترجمته إلى اللغات الأوروبية ومحمد

---

(١) المرجع السابق، ص٣٢٧

(٢) المرجع السابق، ص٣٢٨

٣- من رجال الحديث:

أمثال: الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) إمام المذهب الحنبلى، ولد فى بغداد أما والده من أهالى مرو بخوارزم، والإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦هـ) له الجامع الصحيح (صحيح البخارى)، والإمام محمد بن عيسى الترمذى (ت٢٧٩هـ) له صحاح الترمذى وكتاب العلل، والإمام إسماعيل بن مسلم الشكانى البخارى (ت ٣٢٢هـ)، وأبو عبد الرحمن أحمد بن حنبل بن شعيب النسائى (ت ٣٠٣هـ) صاحب السنن الكبرى، وأبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمى له جامع الصحيحين فى الحديث، وأبو بكر محمد القفال الشاشى (ت ٣٦٦هـ) من أئمة الفقه الشافعى ومحدث له كتاب المعروف بآداب القاضى.. وآخرون.

٤- من علماء الكلام والفقه وطبقات الفقهاء والأنساب:

علاء الدين على بن التركمانى (ت ٧٥١هـ) له السعدية فى أصول الفقه وكتاب الضعفاء والكفاية مختصر الهداية فى الفقه... وكتب أخرى، وأبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسى[١] له كتاب الإسراء تقديم الأدلة وغيرها، وشمس الأئمة السرخسى (ت ٤٩٠هـ) المبسوط فى ١٥مجلدا وأصول الفقه وغيرها، وشيخ الإسلام رضى الدين السرخسى (ت ٦٧٦هـ) له كتاب الذخيرة، المحيط، والفتاوى الصغيرة، ومجد الدين محمد السمرقندى له شرعة الإسلام، وبرهان الدين المرغينلنى (ت ٥٠٣هـ) له كتاب الهداية وكتب أخرى، والسمعانى المروى (ت ٥٦٣هـ) له كتاب الأنساب ..... وآخرون كثيرون.

٥- علماء الصرف والنحو:

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى (ت ٣٩٣هـ) له صحاح الجوهرى وسراج الدين يوسف الخوارزمى السكاكى (ت ٦٢٦هـ) له مفتاح العلوم فى الصرف والنحو والمعانى وآداب المناظرة والعروض، وإسحق بن إبراهيم الفارابى)خال الجوهرى) (ت ٣٥٠هـ) له ديوان الأدب فى اللغة وشرح أدب الكاتب لابن قتيبة، وحميد البلخى (القرن السادس) له مقامات حميدى (فارسى)، وناصر بن السيد بن على المطرزى الخوارزمى (ت ٦١٠هـ) من تلاميذ العلامة الزمخشرى له كتاب الدستور، مرقاة الأدب، المغرب شرح مقامات

---

(١) المرجع السابق، ص٣٢٦

أما عن الشاعرات نذكر إجمالا أسماء عائشة السمرقندية وعظمت السمرقندية ومهرى ونورجهان وعصمتى ودختر كاشيغرى.

٩- أما عن المؤرخين وعلماء الجغرافيا وأصحاب تذاكر الشعراء[١]:

نذكر باختصار أسماء أبو الغازى بهادر خان حاكم خيوة والمؤرخ الجغتائى (ت١١٨هـ) ومير عبد الكريم البخارى له تاريخ آسيا الوسطى ترجمة البلدان والإمام محمد بن إسماعيل البخارى له ثلاثة تواريخ: التاريخ الكبير والتريخ الأوسط والتاريخ الأصغر وأبو سلمان فخر الدين بناكتى (ما وراء النهر مؤرخ المغول) وأبو الريحان البيرونى له أحوال الهند وحافظ ابرو الهروى له زبدة التواريخ، وخواندمير (ت ٩٤١هـ) له خلاصة الأخبار تلخيص روضة الصفا، وحبيب السير وميرخوند (ت ٩٠٣هـ) له روضة الصفا فى ستة مجلدات وأبو بكر النرشخى (ت ٣٤٧هـ) له تاريخ بخارى نشره شيفر ومدرس رضوى، وترجم إلى اللغة العربية ولغات أوروبية ونجم الدين الروندى (ق٦هـ) له راحة الصدور، وكمال الدين السمرقندى له مطلع السعدين فى مجلدين والسمعان المروى (ت ٥٦٢هـ) له كتاب الأنساب، وتاريخ مرو ودوليتشاة السمرقندى له تذكرة الشعراء والعوفى البخارى له لباب الألباب ومحمد الفرغانى له ذيل تاريخ الطبرى وحسين الواعظ الكاشفى (ت ٩٣٩هـ) له روضة الشهداء ونور الدين محمد النسوى له تاريخ جلالى ألفه (٦٣٩هـ) ونظام الدين الهروى له تاريخ تيمور وأبو الروح عيسى الهروى له تاريخ هراة وآخرون كثيرون ونضيف هنا تزاك تيمورى لتيمور لنك، وترك بابرى أو بابر نامه لمظفر الدين بابر ومجالس النفائث للوزير نظام الدين على شرنوائى[٢]، وهكذا استمر الترك فى تركستان فى خدمة الإسلام ونشر تراثه المجيد، إلا أنه لأسباب عديدة يطول ذكرها وقعوا فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى تحت نفوذ الروس القيصرى، وكانت تحكم التركستان ثلاث إمارات إسلامية مستقرة، وهى إمارة فرغانة وإمارة بخارى وإمارة خيوة، وكانت طشقند وسمرقند وبخارى ومرو مراكز إشعاع للثقافة والحضارة الإسلاميتين وقسم الاستعمار الروسى والصينى التركستان بينهما كما بينا آنفا أما بعد الثورة البلشفية وفى سنة ١٩١٨ غزت الجنود الروس الشيوعيون تركستان الغربية، واستولت على إماراتها واحدة تلو الأخرى.

---

(١) عبد العزيز عوض - الكتاب التذكارى - مرجع سابق، ص٣٢٥

(٢) المرجع السابق، ص٣٢٦

بن محمد الجغمينى مؤلف كتاب الهيئة المعروف باسمه شرحه سيد شريف وقاضى زادا الرومى ومحمد بن موسى الخوارزمى فى القرن الثالث الهجرى لأثارة قيمة كبيرة فى أوروبا وله المختصر فى حساب الجبر والمقابلة تمت ترجمته إلى اللغة اللاتينية والإنجليزية وقد قام بترجمة كثير من الكتب اليونانية فى عهد الخليفة المأمون ويعتبر أو ل عالم للجبر وأحمد بن كثير الفرغانى من علماء الهيئة تمت ترجمته إلى اللاتينية وهو الذى أنشأ المقياء الجديد للنيل فى مصر.

٨- مشاهير العظماء:

هناك مئات من الشعراء نظموا الشعر بالعربية والفارسية والتركية وهم من أبناء تركستان ويطول ذكرهم هنا ... ولذلك نكتفى بالإشارة أولا إلى ثلاثة شعراء كان لهم الفضل فى كتابة الشهنامات قبل الفردوس أحمد البلخى وأبو المؤيد البلخى وأبو منصور محمد بن أحمد البقيقى الذى تعرف شهناماتة بكشتاسب نامه وقد أوردها الفردوس الطوسى فى شهناماته كما هى وأما الشعراء الذين لهم قصائد وغزليات ومثنويات ورباعيات فهم: أبو شكور البلخى (ق٤هـ) له أفرين نامه وأبو على المادوزى لع قصائد ورباعيات وباخسرزى البخارى (ق٧هـ) وبديع البلخى (ق٤هـ) له بند نامه أنوشيروان وروح الولواحى (ق٦هـ) من ما وراء النهر له أشعار هزلية والرودكى السمرقندى أبو الشعر الفارسى وسوزنى السمرقندى (ق٦هـ) وشاكر البخارى وشاه السبزوارى (ق٩هـ) والشاعر الحكيم شهيد البلخى (ق٤هـ) كان له يد طولى فى أنواع الشعر من معاصرى رودكى وضياء الخجندى (ق٧هـ) وظهير الدين الفارابى (ق٦هـ) وعباس المروزى (ق٢ / ٣هـ) له قصيدة فى مدح الخليفة المأمون قدمه بمناسبة زيارته مدينة مرو وعمعق البخارى (ق٦هـ) وهلالى الجغتائى (ق١٠هـ) له عدة مثنويات.

أما عن شعراء الأدب الجغتائى يمكن أن نشير إلى أحمد اليسوى الشاعر المتصوف الكبير وشاهرخ وبايسنقر مرزا والسلطان حسين بايقرا وهم حفدة تيمور لنك حكموا تركستان وازدهر العلم والفن فى عهدهم.

والشاعر العظيم الوزير نظام الدين على شيرنوايى (ت ٩١٦هـ) له ديوانه بالجغتائية وكتب أخرى ومظفر الدين بابر مؤسس الدولة التيمورية فى الهند له ديوان ومثنوية المسمى بمتين وكتابه المنثور عن ذكرياته المسمى بابرنامه وصوفى الله يار وديوانه مشرب من شعراء الصوفية فى فرغانة.

البحث الذى أعده السادة د/ عايدة إيماتغوليفيا والسيد / ضياء بونيادوف والمعنون باسم «البحث الأدبى فى القرون الوسطى (من النصف الثانى من القرن الثامن إلى القرن الحادى عشر)».

وتضمن هذا البحث تأثير الأدب والشعر العربى على المجتمعات الإسلامية الأخرى، ومدى انسجام وتأثير الأدب الشرقى بالأدب الغربى، وتأثر أهل وشعوب تلك البلدان بالشعر العربى، والأدب العربى بل وباللغة العربية التى كانت سائدة فى معظم شعوب آسيا الوسطى، فكان للغة العربية دور أساسي فى إثراء الحياة الثقافية(١).

وكان لانتشار اللغة العربية واعتبارها لغة الأدب والثقافة، الدليل على حاجة الشعوب الشرقية لمزيد من الاطلاع والتعلم، ونتج عن اختلاط تلك الثقافات ودراسة اللغة العربية باعتبارها لغة الأدب والثقافة أن ظهرت روائع ابداعات علماء الشرق الإسلامى فى مختلف مجالات الأدب من شعر وفلسفة وتفسير وعلوم دينية وعلمية من طب وهندسة ورياضة وفلك، وأصبح الأدب فى بلاد الشرق الإسلامى يكتب باللغة العربية، ثم حين نستعرض بحث د / حاجى حمزتوف المعنون «المخطوطات العربية فى داغستان»(٢). نجد أنه يتضمن الإشارة إلى أنه منذ قرابة ١٣٥٠ سنة بدأ سماع الكلام واللغة العربية فى أراضى وسط آسيا بصفة عامة وداغستان بصفة خاصة لأول مرة ففى القرن السابع كانت الحدود الشمالية للخلافة الإسلامية تمر فى منطقة «دربند» وقد اطلق عليها الجغرافيون العرب اسم «باب الأبواب» ولم يقتصر انتشار اللغة العربية على أراضى شرق القوقاز (القفقاس) حيث يقع باب الأبواب، والتى كان لها أهمية استراتيجية إذ كان يمر بها الطريق التجارى القديم الذى كان يربط أوروبا الشرقية ببلدان الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، والمعروف بطريق: «الحرير» وهذا قد أضفى على المنطقة أهمية استراتيجية.

وقد ساهم فى انتشار اللغة العربية استقرار جماعات من العرب عند «باب الأبواب» وعاشوا وتعايشوا مع أهل البلاد فى تلاصق ووئام، وحافظوا على طباعهم حتى أن أهل البلاد تعلموا من العرب اللغة العربية وحسن البيان.

---

(١) عايدة ايمانغوليفا - المرجع السابق، ص٢٠٨

(٢) حاجى حمزتوف - المرجع السابق، ص٦٢

الفصل الثانى

المبحث الثانى

الحضارة الإسلامية وتأثيرها فى شعوب آسيا الوسطى وروسيا القيصرية

مقدمة:

ومن الواضح أن الحضارة الإسلامية قد نالت حظًا وافرًا من دراسة المستشرقين، وخاصة من بلدان منطقة وسط آسيا الإسلامية فقد اهتمت الدوائر العلمية، والأدبية السوفيتية بدراسة الحضارة الإسلامية من مختلف جوانبها حتى أطلق على القائمين بهذه الدراسات (المستشرقين السوفيت) وهم الذين قاموا بعمل العديد من الدراسات والأبحاث الاجتماعية، وعن تأثير الدراسات الإسلامية على منطقة وسط آسيا دولا وأفرادا.

ومن تلك الدراسات دراسة للدكتور/ الكساندر خاتشاتريان بعنوان «كتابة عربية فى حصن تالية السفلى لأرمينيا» يعود لعام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م[١].

وتتلخص هذه الدراسة فى عثور العالم المستعرب على كتابات عثر عليها فى قرية «قرة كور» بجمهورية داغستان السوفيتية وهذه الكتابات هى آيات من القرآن الكريم، وهذا يدل على أن الصلات الثقافية والأدبية، والاجتماعية، كانت موجودة بين الأمصار الإسلامية المختلفة فى عهد الدولة الإسلامية الموحدة.

وقد قدم كذلك المستعرب السوفيتى د/ خالد عمروف، مبحثا عن المخطوطات العربية فى قرى عزيزى، ومجلة واقوسة الداغستانية والذى انتهى فيه إلى أن المخطوطات العربية تركت آثارًا ثقافية نفيسة لتلك البلدان، وقد تم العثور على العديد من الكتب بهذه الأماكن مدونة باللغة العربية[٢]، أدت إلى نهضة حضارية لتلك البلدان.

وهذا يؤكد مدى تأثير الأدب العربى فى القرون الوسطى على ثقافات وشعوب المنطقة والشعوب الأخرى، وبين يدى الباحث ما يؤكد هذه الحقيقة من خلال

---

(١) الكساندر خاتشاتريان - أبحاث جديدة للمستعربين السوفيت - موسكو - أكاديمية العلوم السوفيتية سنة ١٩٨٧، ص٨٤

(٢) خالد عمروف - المرجع السابق، ص١٩٣

فإن للمظاهر المعنوية عدة صور: كالفنون، والآداب، والعلوم، والمعارف المختلفة أما مظاهر المدنية فهى تمثل الوسائل المادية التى يستعين بها الإنسان فى تحقيق وتطوير حضارته.

وقد امتاز الإسلام بأنه دين الحضارة الإنسانية، ذلك أن عناصر ومقومات هذه الحضارة قد استمدت من القرآن والسنة وهما من عماد الإسلام ذاته، فكان ومازال هو دين الحضارة والتحضر.

وقد قامت الحضارة الإسلامية على دعائم أساسية، جعلت منه دينا عالميا يصلح لكل مكان وزمان، وهى صفة يتفرد بها دون غيره من الأديان، فأنه دين البشرية جمعاء ومن هذه الدعائم الأساسية التى قامت عليها الحضارة الإسلامية الآتى:

أولاً: أن الإيمان بالله والغيب الذى هو عقيدة المسلم ومبدأ أساسى فى الإسلام قد انطوى على طاقة روحية هائلة جعلت منه أصلا من أصول الإسلام ويتم العمل به ومن خلاله.

ثانيًا: أن الإسلام دين دعوة والدعوة فرض على كل مسلم، وفكرة الدعوة تنطوى على فلسفة الشيوع والانتشار فى النطاق العالمى.

ثالثًا: أن الإسلام دين مبنى على العقل، والفهم، والإدراك، ولذا فهو دين سهل غير معقد فى عقيدته وأركانه إذ يسهل على العبد الاتصال بخالقه بمجرد الوقوف فى الصلاة أو دعائه إياه إذ يقول سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهوساجد فأكثروا الدعاء»(١).

وقد تضمن القرآن ما يدعى به، وأن مجرد قراءته فهى دعاء وذكر وعبادة.

رابعًا: أن الإسلام هو دين رحب مستنير يدعو إلى العلم والمعرفة باعتبارهما مفتاحا أى حضارة ولذا فإن الحضارة الإسلامية قد استوعبت كل الحضارات الأخرى، وأصبغت عليها طابعا إسلاميا شاملا.

خامسًا: لقد ساعدت البيئة العربية وموقعها الجغرافى فى إعطاء الحضارة الإسلامية طابعًا مميزًا ومكانة خاصة عالميا.

---

(١) حديث صحيح -مسلم بشرح النووى - باب ما يقال فى الركوع والسجود - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - بيروت - دار الكتب العلمية - سنة ١٤١٥ هـ.

وقد ساعد على ذلك أن العرب قد عاشوا أمدا طويلا فى تلك البلاد، فكان ذلك من العوامل التى ساعدت على انتشار اللغة العربية والثقافة العربية، بين السكان خاصة بعد أن انتشر الإسلام فى كافة المناطق فى آسيا الوسطى، وتم بناء مدارس تحفيظ القرآن، ودراسة علوم القرآن، وقواعد اللغة العربية، بالإضافة لهذا العامل توجد عوامل أخرى منها الاتصالات التجارية والاقتصادية والحضارية لشعوب بلدان الشرق الأدنى وآسيا الوسطى، والتى تطورت فى الفترة من القرن العاشر إلى القرن الثانى عشر وتعاظمت فى القرن الرابع عشر.

وعلى ضوء ذلك تغلغلت اللغة العربية بين السكان كلغة دولية وأصبحت لغة دين وعبادة وعلم بل أصبحت لغة التعاملات الرسمية فى الدواوين سواء فى السجلات، والمكاتبات الشخصية أو الرسمية ومع ذلك بقيت اللغات المحلية وسيلة للتخاطب بين الناس.

وقد أنشئت مكتبات عامة ومكتبات دينية فى المساجد، تحوى العديد من الكتب العربية فى مختلف المجالات العلمية والمعرفية، وأصبح تراثًا تتناقله الأجيال فى مختلف مجالات العلم.

وبذلك أصبحت اللغة العربية هى حلقة الاتصال بكافة شعوب بلدان آسيا الوسطى، وكان لابد لهذا الانتشار والتطور من أن تظهر مؤلفات وأبحاث تخرج على أيدى علماء من هذه البلدان تثرى الثقافة الإسلامية التى هى المصب النهائى لكل هذه المجهودات والإبداعات حتى أصبحت الحضارة الإسلامية بكل إمكانياتها ومقوماتها تعد وليده هذا الخلط والإبداع لعلماء من كافة الشعوب الإسلامية سواء من بلاد المشرق العربى أو الشرق الآسيوى، ومن ثم نجد أن الحضارة الإسلامية تعد من أكبر الحضارات ذات القيمة العالية والثابتة، لأنها بنيت على تعاليم السماء وأوامر ونواهى رب الأرض والسماء، وكانت لتلك الحضارة الفضل فى العمران والمدنية فى كثير من البلدان التى دخلتها، واندمجت فيها، ولذا سنبدأ بالتعرف على الحضارة الإسلامية وتأثيرها فى كافة الشعوب المحيطة بها والتى تفاعلت وتعاملت معها بشكل مباشر.

وإذا كانت الحضارة هى جملة المظاهر المعنوية التى سجلها التاريخ، والتى تبقى راسخة فى المجتمع لتميزه عن غيره من المجتمعات، إضافة إلى مظاهر العمران المدنى التى أشار إليها ابن خلدون فى مقدمته[1].

---

(١) أحمد السابح - مرجع سابق، ص١٢٠

وبذلك تكون لمدارس بلدان وسط آسيا الإسلامية الأثر الأكبر فى نشر وحفظ الهوية الإسلامية.

وقد تخرج فى هذه المدارس العلماء الأعلام، وخاصة من مدارس ما وراء النهر، ومدارس بلخ وفارياب، وطالقان وكان بينهم توحيد وتشابه فى إجراءات امتحان طالب العلم ومنحه الدرجة العلمية[1].

وكان لوجود الصلات العلمية بين علماء ما وراء النهر وعلماء بلخ أثر مباشر فى نقل الثقافة من البلاد العربية والبلاد الأفغانية إلى بلاد ما وراء النهر وبالعكس، وبذلك زاد التأثير العلمى بين العلماء فى مختلف الأمصار بدءاً من بلدان ما وراء النهر إلى مصر، وبغداد والكوفة، والبصرة، ودمشق، وحمص، وكانت المدارس حينذاك مخصصة للعلوم الشرعية، والإسلامية فقط حتى القرنين الخامس والسادس الهجريين ثم أدخلت دراسة الفلسفة فى تلك المدارس، وصار إقبال الناس عليها عظيما، وكان أهل السلطة مهتمين بتحليل الآراء الفلسفية، وتحليل قضايا الفكر لأصحاب الرأى والعلماء الأفذاذ.

ومن الأمثلة التى تؤكد تلك الحقائق معارضة الإمام أبى حامد الغزالى لآراء الفلاسفة اليونانيين وغيرهم بعد أن ألف كتابا باسم «مقاصد الفلاسفة» يثبت للعلماء أنه يعرف ويدرك أبعاد النظريات الفلسفية، ويعاديها من خلال علمه ومعرفته بها، ثم ألف كتاب «تهافت الفلاسفة»، وكانت هذه الأحداث بمثابة الثورة الأدبية التى دفعت الكثير للإقبال على تلك المدارس ودراسة هذه الأفكار الجديدة، وبدأ العلماء الأعلام فى بلاد ما وراء النهر يقارنون بين أراء الفلاسفة المعاصرين لهم أمثال ابن سينا والفارابى وغيرهما وبين نقد الغزالى، واعتبر نقد الغزالى مادة علمية تدرس بجانب المواد الأخرى وأصبح لهذا الصراع الأدبى الفلسفى أثر كبير فى النشاط العلمى والأدبى، وانعقاد المناقشات والمناظرات الفلسفية.

والجدير بالذكر أن الصلات العلمية بين بلاد ما وراء النهر وبلاد العرب، بدأت خطواتها الأولى منذ دخول الإسلام هذه الأراضى وإزدهرت فى عصر الإمام البخارى.

وقد كانت هناك صلات بين مدارس هذه البلاد ومدارس بلخ وفارياب وغزنه وهرات الأفغانية، وقد وصلت الى أوجها فى أوائل القرن السابع الهجرى حتى

---

(١) عناية الله إبلاغ الأفغانى - مؤتمر الدراسات التاريخية فى جامعات العالم الإسلامى - القاهرة - جامعة الأزهر سنة ١٩٩٦، ص٤٣

سادسًا: تضمن القرآن الكريم كل المبادئ الكفيلة بجعل الإنسان متكاملاً، والمجتمع سليمًا متكافلاً فقد حدد القرآن الكريم قسما: للعبادات، وقسما للمعاملات التجارية والاقتصادية والأسرية وكافة نواحى الحياة وكأنه منهاج الحياة فاشتمل على كل ما يخدم الإنسان فى أمور الدين والدنيا.

سابعًا: تعد اللغة العربية من أهم الدعائم التى بنيت عليها الحضارة الإسلامية ذلك أن اللغة العربية هى لغة القرآن، وأن اللغة العربية تملك من الإمكانيات اللغوية ما يؤهلها لأن تكون من أعرق اللغات وأقواها.

وحيث إن معظم علماء المسلمين من عرب أو عجم، قد كتبوا مؤلفاتهم وأبحاثهم باللغة العربية ومن ثم استطاعت اللغة العربية فى ظل عالمية الإسلام أن تتسع لتحيط بأبعد مدى لانطلاقات الفكر الإنسانى.

ثامنًا: اتسم الإسلام كذلك بقوة دفع الفكر الإسلامى لتصحيح المفاهيم الخاطئة التى انتشرت قبل انتشاره، نتيجة انتشار المذاهب الفلسفية التى خربت عقول البشر، فكانت جهود الدين الإسلامى باعتباره خاتم الرسالات السماوية بمثابة تصحيح وتحدٍ لأفكار الجاهلية وإصباغ طابع الحضارة الإسلامية على المفاهيم السائدة(١).

تاسعًا: ومن مظاهر ترسيخ معالم الحضارة الإسلامية أنها لم تكن تعنى، أقوامًا بعينهم، بل لكل البشر فمع تنوع الأجناس واختلاف السلالات، دخلت تلك الأقوام فى الإسلام فأصبحوا له بمثابة دعائم لتثبيت وجوده، واستمراره على مر العصور.

ومن ثم نجد أن الإسلام استطاع أن يضفى على البلاد التى دخلها لوناً جديداً ومميزاً، من الفكر الدينى المعتدل، وفى المعاملات المادية والإنسانية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، والتى جعل منها حضارة دينية ودنيوية، تضفى طابعها على كل الحضارات الأخرى.

وكان من أهم عوامل حفظ الفكر الإسلامى وحضارته، والتأدب بأدبه فى البلاد التى دخلها هى التوجه إلى الدراسات الإسلامية باللغة العربية لغة القرآن الكريم، وتأسيس مدارس دينية وحلقات تدريس بالمساجد، وتأسيس المحافل العلمية للمناقشات الأكاديمية والمعروفة لدى مسلمى وسط آسيا وما وراء النهر «بالمناظرة» وإعطاء الشهادات العلمية بعد الامتحان الدقيق الذى يجرى للدارس

---

(١) أحمد السابح - المرجع السابق، ص١٢٣

علماء المسلمين يقومون بدراسة الكتب المترجمة دراسة نقدية دقيقة ويستوعبونها ثم يقومون بتقييمها وإعادة كتابتها بالتعليق والشرح، ثم تطورت الحركة العلمية من الترجمة والنقل إلى البحث، والابتكار، والتأليف، والدارس لتاريخ الحركة العلمية يجد أن مناهج البحث العلمى فى ظواهر الطبيعة والكون والحياة قد قامت على أساس مجموعة من المسلمات الإيمانية والفكرية ومنها:

١- عقيدة التوحيد الإسلامى:

كانت عقيدة التوحيد تمثل نقطة الانطلاق فى رؤية الإنسان لحقائق الحياة والفكر والوجود آخذاً بالمنهج الإسلامى فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، التى تبنى على الأيمان بوحدانية الله.

٢- فريضة التفكير العلمى:

اهتم الإسلام بالعلم والعلماء ووضعهم فى مصاف الأنبياء وورثتهم، انطلاقاً من أن العلم موجه لخير العباد، وتلبية دعوة الإسلام إلى تحصيل العلم النافع، وأقبل المسلمون على تحصيل العلم بجميع فروعه فى سياق القرآن والسنة وترك ما يخالفهم من العلوم الأخرى كالتنجيم وغيره.

٣- منهجية التفكير العلمى[١]:

إن الفكر الإسلامى النابع من عقل إسلامى، والذى ترعرع فى ربوع القرآن والسنة لقادر على تحرير العقل البشرى من الشرك بالله، وقادر على التفوق والإبداع فى مختلف المجالات بمفاهيم ونتائج توصل إليها بعقل حر مدرك وقادر على الاستدلال الذى يصنع المعرفة على أساس منهجى سليم، إن العقل المسلم قد توصل إلى مناهج البحث العلمى فعرف المنهج الاستقرائى الاستنباطى، وغيرها من المناهج التى تناسب كل فرع من فروع المعرفة فى ذلك الوقت فنجد مثلا:

أ - المنهج الاستنباطى[٢]:

وهو منهج البحث والبرهان ويستخدم فى العلوم الرياضية اشتهر به:

الخوارزمى - نصر الدين الطوسى - أبو بكر الكرخى - وبهاء الدين العاملى، وقد أخذ منهم علماء أوربا أمثال ليونارد وكاردان - فيرارى وغيرهم.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٨

(٢) عبد الباسط حسن - أصول البحث العلمى - القاهرة - مكتبة وهبة سنة ١٩٧٦ ص٢٨٥

دخول التتار لتلك البلاد وهدمها تماما ولكل أثر من الآثار الإسلامية، وقتل رجالها ونسائها وحرق مساجدها ومكتباتها العلمية المليئة بآلاف الكتب والمخطوطات الثمينة.

والجدير بالذكر أن شعوب آسيا الوسطى والقوقاز، قد أكدت على مدى أكثر من أربعة عشر قرنا، أنها جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية وحضارتها، فكان ومازال وسيظل بإذن الله إلى يوم النشور جزءاً من نسيج الأمة الإسلامية وتاريخها وحضارتها.

وتدل الآثار الإسلامية بتلك المناطق على تأثر هذه الشعوب بالحضارة الإسلامية، حيث بلغت شأنا عظيما من التقدم والرقى، وفى حين كانت هذه الشعوب تتمتع بأعلى درجة من العلم والمعرفة، كانت فى ذات الوقت تعيش الشعوب السلافية على الضفة الغربية لنهر الفولجا فى ظلمات الجهل والتخلف والحياة البدائية المقززة، كانت تعيش حياة غير آدمية فى أخلاقها وطباعها وطقوسها كما أنها لم تكن تعرف حتى مبادئ القراءة والكتابة.

ويكفى بما يشهد به التاريخ من أن الشعوب السلافية كلها، والتى تعيش حول نهر الفولجا فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين كانوا لا يعرفون الحروف الهجائية، بينما كانت سمرقند تعيش أزهى عصور صناعة الورق والطباعة والتجليد للكتب، ولا ينسى التاريخ أن يذكرنا دوما بأن الحضارة الإسلامية بإنجازاتها العلمية والفكرية، مدينة لشعوب آسيا الوسطى[1] حيث كانت الريادة لعلمائهم فى مختلف مجالات العلوم الشرعية والعلمية.

الأسس المنهجية للنهضة العلمية فى عصر الحضارة الإسلامية[2]:

إن المطالع لتاريخ الحركة العلمية والأدبية فى بداية العصر الإسلامى يتبين له أنها كانت موجهة بصورة أساسية إلى العلوم الدينية واللغوية والتى كان يطلق عليها العلوم «النقلية» تميزا لها عن العلوم العقلية والمعنية بالبحث فى ظواهر الطبيعة والكون.

وكان طبيعيا أن تبدأ النهضة العلمية الإسلامية بالنقل عن السابقين فانكب العلماء على ترجمة المؤلفات اليونانية - السريانية - القبطية - الهندية، وكان

---

(١) محمد يونس عبد السميع - مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز - مرجع سابق، ص٣

(٢) المرجع السابق، ص١٢

ونخلص من ذلك إلى أن الحضارة الإسلامية كانت هى منارة للعالم باعتبارها أم الحضارات البشرية إذ أنها استطاعت بجهود علمائها، وإيمانهم بقيمة البحث العلمى من إثراء الفكر البشرى ونهضته فى المجالات العلمية والفكرية والبحثية المختلفة فيكفى للعلماء (المسلمين فخرا) أن كتبهم ورسالاتهم العلمية والفكرية كانت تدرَّس فى جامعات العالم لعدة قرون وفى مختلف المجالات.

ومن شواهد تاريخ الحضارة الإسلامية، ما يؤكد على أهمية دور علماء المسلمين ورواد الحضارة الإسلامية فى إثراء الحياة الفكرية، والاجتماعية لشعوب المنطقة فكانت مظاهر الحياة الفكرية والاجتماعية فى إقليم ما وراء النهر مزدهرة فى عصر الفتوحات الإسلامية، فأصبحت خراسان ومرو وبكند وبخارى وسمرقند وغيرها تعد مراكز إشعاع حضارى، بعد أن كان أهالى هذه البلاد فى أول عهدهم بالإسلام يتظاهرون بالإسلام أمام الجيوش الإسلامية فإذا خلوا إلى أنفسهم ارتدوا على أعقابهم إلى سابق عهدهم بالكفر، حتى أن قواد المسلمين كانوا يقدمون مكافآت مالية لمن يحضر المسجد للصلاة، وتم السماح لهم بقراءة القرآن بالتركية ثم استطاع قتيبة فى تلك الأثناء السيطرة على تلك البلاد حتى حدود الصين، وتثبيت الإسلام فيها وفى نفوس أهلها وأنشأ فى بخارى مسجدا عظيما سمى جامع قتيبة، وكان قتيبة قائدا عسكريا قويا فى الميدان، وقائدا إسلاميا صاحب فكر ثاقب، وكان يستخدم تلك المهارات فى البلاد التى يقوم بفتحها، فبصفته قائدا عسكريا كان يسيطر على تلك الأقاليم سيطرة حكيمة وبصفته قائدا إسلاميا وقائدا ذا بصيرة فقد قام ببناء المساجد والجوامع فى المدن المهمة فى آسيا الوسطى، مثل سمرقند وبخارى وغيرهما، إلى جانب المدارس والربط، ونقل كثيرا من الأسر العربية المسلمة إلى تلك البلاد، حتى أن عملية التوطين وصلت إلى الشاش وطشقند وفرغانة، وكان لبناء المدارس الإسلامية فى المنطقة الأثر الكبير فى قيام نهضة ثقافية إسلامية قوامها اللغة العربية لغة القرآن الكريم(١).

ومن ثم نجد أن بلاد تركستان وعلماءها، قد ساهموا بصورة مباشرة فى إثراء الحضارة الإسلامية والعربية والإنسانية، فى مجالات العلم والمعرفة حتى أصبحت أفكارهم ونظرياتهم تدرَّس فى أوربا لقرون كثيرة، عرفانا بعلمهم وفضلهم فى خدمة البشرية والإنسانية.

---

(١) نصر الله مبشر الطرازى - الكتاب التذكارى - مرجع سابق - ص١١٢

ب - المنهج الاستقرائى[1]:

وهو منهج يستخدم فى العلوم الكونية والتجريبية، ويجمع العلماء والفلاسفة على أن الخطوات الرئيسية فى المنهج الاستقرائى، هى الملاحظة والتجربة والفرض العلمى وكان رائده ابن سينا.

وهناك علماء آخرون من علماء آسيا الوسطى الذين أدوا مع قرنائهم من علماء الآمة الإسلامية فى العصور الوسطى دورا رائدا فى تأسيس المنهج الاستقرائى فأننا نجد العالم أبو الريحان البيرونى وغيره من العلماء قد أسسوا منهجية بحثية سليمة حتى أوائل عصور التدهور فى إبداعات الحضارة الإسلامية، ومن بين الأسماء المبدعة فى هذه المجالات نذكر أولوغ بك وغياث الدين حمشيد الكامش وقاضى زاده الرومى، والذى يرجع إليهم الفضل فى إنشاء مرصد سمرقند المعروف، وإجراء وتصحيح بعض الأرصاد التى قام بها فلكيو اليونان، وقد ألف اولوغ بك كتابه المشهور فى علم الفلك باسم أوزبح كوركانى «أو» زوج جديد سلطانى» وهو الكتاب الذى ظل معمولا به فى الأوساط العلمية بهمة عالية بين الفلكيين فى المشرق والمغرب لعدة قرون.

ولقد عاشت البلاد الإسلامية كوحدة واحدة طيلة تاريخها المجيد، وكان نتيجة لذلك ازدهار العطاء العلمى من مختلف العلماء فى كافة أنحاء الدولة الإسلامية.

ولقد شهدت الدولة العباسية أزهى عصور النهضة الإسلامية ففيها اتسعت رقعة الدولة، وزادت مواردها وازدهرت التجارة والصناعة، وازدهرت كذلك حركة الترجمة، وزادت النهضة الفكرية والعلمية.

وقد تم رعاية الحضارة الإسلامية من قبل الحكام باعتبارها هى الحضارة العالمية السائدة، وقد قامت الدولة بتوفير المال اللازم للترجمة والبحث العلمى والإبداع الفكرى والأدبى.

كما أن الدولة قد أعطت حق الحرية الفكرية للمبدعين، حتى يستطيع كل عالم إظهار ما لديه من علم وفكر دون خوف أو وجل مادام لا يصطدم بصريح الشريعة.

وكان لاتخاذ اللغة العربية أساسا لتلك الحضارة، الفضل فى صهر ثقافات جميع مبدعى وعلماء الدول الإسلامية فى بوتقة واحدة، وظهورها باعتبارها ممثلة للحضارة الإسلامية.

---

(١) عبد الباسط حسن - أصول البحث العلمى - القاهرة - مكتبة وهبة سنة ١٩٧٦ ص٢٨٥

الفصل الثالث

الفكر الأيديولوجى الروسى فى العهدين القيصرى والشيوعى

الأيديولوجية القيصرية والأطماع الإقليمية

المبحث الأول

الأبعاد الأيديولوجية للفكر القيصرى على مسلمى وسط آسيا

مقدمة:

يوضح هذا الفصل الأبعاد الفكرية للأيديولوجية القيصرية الاستعمارية تجاه مسلمى آسيا وهم جزء من كل، أى جزء من الأمة الإسلامية التى نقصد بها تلك الجماعات الإسلامية والإنسانية التى يعتنق أفرادها الدين الإسلامى فى أى مكان على خريطة المجتمعات الإنسانية ويجتمعون فى فكرهم وسلوكهم على مبادئ الشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة(١).

ومن ثم نجد أن الأيديولوجية القيصرية تجاه شعوب، ومسلمى آسيا الوسطى وغيرها، كانت متمثلة فى وجود مخطط طويل المدى، يهدف إلى إذابة الشعوب التى تم السيطرة عليها، وصهره فى مجتمع واحد، دون أن يعيروا أى اهتمام بالحدود السياسية أو الجغرافية أو الانتماءات القومية المختلفة لتلك الشعوب الإسلامية(٢).

فقد بدأت هذه الأيديولوجية تعمل على تفكيك عرى القبائل المختلفة، وخاصة التى كان بينها ارتباط أو اتحاد أو التى يمكن أن يكون بينها شكل متجانس، أو إبداء رأى جماعى، ولذا فكان لابد من القضاء على أى صلة بين تلك القبائل بأى طريق مشروع أو غير مشروع، وقد تحقق لها ذلك بالفعل فى كثير من المناطق التى استخدمت فيها هذا الأسلوب.

كما أنها استخدمت طريقة أخرى لقتل النزعات القومية، وذلك بأنها تدخلت فى الاقتصاد الوطنى لتلك المناطق، وعملت على هدمه عن طريق الاحتكار لنوع

---

(١) السيد حنفى عوض - فى قضايا ومشكلات الدين - مرجع سابق - ص٦٨

(٢) عبد الحليم عويس -- مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز -- مرجع سابق ص١٥٩